الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف – ميلة

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:.....

تجليات الإديولوجيا في رواية "بيت من جماجم" لـ شهرزادزاغر

عنوان المذكّرة

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربيّ

تخصّص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

– أميرة قندوز

– فاطيمة بوكماية

إشراف الأستاذة:

لطيفة قرور

السّنة الجامعيّة: 2025/2024

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ سورة النمل -19-.

الحمد لله الذي أنار لنا درب الوصول إلى غايتنا ووفقنا في إنجاز هذا العمل فالحمد لله حبا وشكرا وامتنانا على البدء والختام، فاللهم لك الحمد حمدا خالدا مع خلودك ولك الحمد حمدا دائما لا منتهى له دون مشيئتك وعند كل طرفة عين وتنفس نفس.

وامتثالا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "لا يشكر الله من لا يشكر الناس".

وقبل أن نخطو خطوتنا الأخيرة في حياتنا الجامعية لا يفوتني أن أتوجه بعبارات الشكر والتقدير إلى أستاذتنا "لطيفة قرور" لقبولها الإشراف على هذه الرسالة ولما قدمته من نصائح وتوجيهات وإرشادها وتشجيعها الدائم لنا رغم ضيق وقتها وانشغالها لم تتراخى لحظة في إعانتنا وكانت خير سند لنا لإتمام هذا العمل.

وكذلك نشكر كل من ساعدنا من الأهل والأصدقاء من قريب أو من بعيد وكل من مد يد العون والمساعدة سواء بالقول أو بالفعل لإتمام هذه المذكرة.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

من قال أنا لها....نالها وأنالها وإن أبت أتيت بها رغما عنها، لم تكن الرحلة قصيرة ولا طريق محفوفا بالتسهيلات لكنني فعلتها فالحمد لله الذي يسر البدايات وبلغنا النهايات وبفضله حقق لنا الغايات.

أهدي هذا النجاح لنفسي الطموحة أولا، ابتدأت بطموح وانتهت بنجاح ثم من سعى معي لإتمام مسيرتي الجامعية دمتم لي سندا لا عمر له.

وبكل حب أهدي ثمرة نجاحي وتخرجي إلى:

من أحمل اسمه بكل فخر من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم، إلى من أكرمني الله به وجعله من بين صفوف الرجال أبا لي زادني به شرفا وعلوا واعتزازا – أبي الغالي (صالح)–

إلى الداعمة الأولى والأبدية ملاكي الطاهر الذي ظل وجودها يمدني بالسعي دائما معلمتي الأولى دكتورتي الأولى – أمي الغالية (زينب)–

إلى ضلعي الثابت وأمان أيامي إلى من شددت عضدي بهم فكانوا لي ربيعا أرتوي منها إلى حيرة أيامي وصفوتها أخي الغالي (محمد)

أخواتي الغاليات (مريم، سامية)

إلى من كانت دعواته ترافقني طيلة مساري الدراسي إلى روح جدي الذي تمنيت أن يكون معي في هذه اللحظة رحمك الله يا غالي وجعل مأواك الجنة.

إلى رفقاء الدرب في السراء والضراء وحين البأس إلى قلبي وروحي وظلي في هذه الدنيا إلى كل من كان العون والسند في هذا الطريق إلى الأصحاب الأوفياء وأصحاب الشدائد والأزمات أهديكم هذا البحث:

إكرام، مريم، فاطيمة، يسرى، خديجة.

وإلى من غابت أسماؤهم عن القائمة وحضرتم في ذكرياتي أهديكم جميعا ثمرة جهدي هذه.

أميرة قندوز

إهداء

الحمد لله الذي أنار طريقي بالعلم، وكان لي خير عون في هذه الدنيا، الحمد لله كثيرا الذي وفقني في إتمام هذا العمل المتواضع، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله النبي المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد.

أهدي هذا العمل إلى:

أيقونتي النادرة التي كان طيفها يرافقني سائر أيامي ينبوع الحنان وأغلى ما وهبني الله في هذه الدنيا، إنها من الجنة تحت أقدامها أمي حبيبة قلبي ورفيقة دربي بدعائها، ومن تستقبلني بابتسامة، من تتمنى لي الخير والتوفيق والنجاح وتبث في الأمل بعدما يحبطني اليأس في بعض من المرات.

وإلى أبي الحبيب الذي ذكره يعم فؤادي وكان سندي في جميع أوقاتي يدعمني ويساندني في محنتي ويفرح لفرحي، إلى من حصد الأشواك من دربي ليمهد لي طريق العلم.

وإلى إخوتي الذين سرت معهم في درب مليء بالصعوبات ودعموني: صالح وجمال ومسعود وأختي وحبيبة قلبي حليمة.

وإلى روح أخي سعيد الذي تمنيت أن يكون معي في هذه اللحظات رحمه الله وجعل مأواه الجنة.

وإهداء خاص لمن كانت خير سند وقدمت لي يد العون زوجة أخي نبيلة.

وإلى صديقاتي بل أكثر من ذلك هم بمثابة إخوتي يسرى، أميرة، خديجة، مروة.

وإلى صديقاتي اللواتي رفقتني في مشواري الجامعي: آمينة، صورية، فايزة، حنان، سيهام، دليلة، ندى، منار.

وإلى من شاركتني العمل صديقتي الحبيبة والغالية وأختي رفيقة دربي قندوز أميرة.

إلى أستاذتي المشرفة "لطيفة قرور" التي كانت دائما توجهني وتنصحني وتدعمني حفظها الله.

إلى كل من أحترمهم ويحترمونني وفي الأخير لا يسعني إلا قول الحمد لله حتى يبلغ الحمد أقصاه.

فاطيمة بوكماية

مقدمة

تكتسي الرواية الجزائرية خلال مرحلة التسعينيات أهمية خاصة جعلتها تمثل في شموليتها إحدى حلقات التطور الهامة في مسيرة الرواية الجزائرية، ولأن الرواية تنطلق من سؤال الواقع بأبعاده وتجلياته الراهنة، لتتقاطع مع التاريخ بتمثلاته، فقد اكتسبت الرواية الجزائرية خلال هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الجزائر المعاصر سمات نوعية وخصائص مختلفة، مستمدة من طبيعة الواقع الذي غلب عليه المناخ السياسي، فكانت أجواؤها مستمدة من تلك الأجواء التي سيطرت عليها الإيديولوجيا بمختلف تجلياتها وبكامل ثقلها فكانت رواية إيديولوجية بامتياز.

يتجلى الوعي الإيديولوجي في الرواية الجزائرية خلال هذه المرحلة التي عرفت بعدة تسميات وتوصيفات منها رواية الأزمة. من خلال مجموعة من التوجيهات الفكرية والسياسية المتعارضة والمتصارعة، شكل المثقف فيها إحدى حلقات الصراع الثقافي الأعزل، فكان من أهم الضحايا في حكاية العنف التي عاشت الجزائر من خلالها في ظل واقع مظلم انعكست سوداويته على الأفراد والممتلكات والأمكنة بفعل الموت والعنف.

تأسيسا على هذه المعطيات جاء هذا البحث لاستجلاء مختلف التوجهات وتجلياتها الإيديولوجية في رواية الأزمة من خلال رواية "بيت من جماجم" لشهرزاد زاغر، وعليها استقرت إشكالية البحث على جملة من الأسئلة، يمكن صياغتها على النحو الآتي:

- ما هي أهم التجليات الإيديولوجية التي كشفت عنها الرواية؟ وما مدى حضور المثقف ضمن نسقية الفعل الإيديولوجي في النص؟
- إلى أي مدى استجابت الرواية لهيمنة العناصر الإيديولوجية؟

أما عن الأسباب التي دفعتنا نحو البحث في هذا الموضوع، فمنها ما هو ذاتي يتعلق برغبتنا في الاطلاع على الأدب الجزائري وخاصة الروائي خلال الأزمة بهدف الوقوف على

خصوصية هذه المرحلة التي انعكست آثارها على كل الشعب الجزائري وامتدت حتى الأجيال اللاحقة.

وأما الأسباب الموضوعية فتتعلق بالبحث في خصوصية الأدب الجزائري خلال الأزمة ومدى هيمنة العناصر الإيديولوجية على القيم الجمالية في النص الروائي مع الوقوف على خصوصية الكتابة النسوية التي عالجت الأزمة.

وبناء على ذلك فقد جاءت خطة البحث موزعة على مدخل وفصلين الأول نظري والثاني تطبيقي مع مقدمة وخاتمة.

فالفصل الأول من البحث جاء موسوما بـ: "قراءة في المصطلح والمفهوم والتيمات"، وقد رصدنا فيه أهم تجليات المتن في رواية الأزمة من حيث حضور الايديولوجيا، الدين، العنف، المثقف ثم استعرضنا أهم أبعاد الايديولوجيا وتجلياتها في رواية الأزمة.

وأما الفصل الثاني فجاء تطبيقيا وموسوما بـ: " تجليات البعد الايديولوجي وعلاقته بالنسق السردي في" رواية " بيت من جماجم". وقد ركزنا فيه على ايديولوجيا السلطة وايديولوجيا المعارضة ثم ايديولوجيا المثقف بتجلياته.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على "المنهج الثقافي" تبعا لخصوصية الموضوع، حيث يتيح هذا المنهج تحليل الخطاب الروائي في أبعاده الرمزية والإيديولوجيا، وفهم تمثلات العنف داخل السياق الثقافي والاجتماعي لتلك المرحلة.

وقد اعتمدنا في دراسة هذا المتن الروائي على مجموعة من الدراسات السابقة التي كان لها الأسبقية في تتبع تجليات هذه الدراسة، كل من زاويته الخاصة ومن أهمها:

- عامر مخلوف" الرواية الجزائرية وزمن التحولات".
- هويدا صالح" صورة المثقف في الرواية الجديدة".
- الشريف حبيلة" الرواية والعنف".
- حفناوي بعلي" تحولات الخطاب الروائي الجزائري".
- حسن توفيق إبراهيم" ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية".

وكأي بحث أكاديمي لا يخلو من بعض الصعوبات والعراقيل فيه من أبرزها: صعوبة فرز المصادر والمراجع الناتجة عن كثرتها، حيث أن أغلب الدراسات التي تناولت موضوع الأزمة كانت متفرقة في مجالات وملتقيات وجرائد.

وأولا وأخيرا، نتوجه بالشكر للمولى عز وجل الذي وفقنا لإتمام هذا العمل، وسدد خطانا في كل مراحله، نسأله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يرزقنا فيه الرشاد والسداد وأن ينفع به كل من اطلع عليه.

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة "لطيفة قرور" التي كانت نعم السند خلال إنجاز هذا البحث. فقد كان لحكمتها، وتوجيهاتها الدقيقة، ودعمها المتواصل، الأثر العميق في إثراء هذا العمل وإخراجه في صورته النهائية، فكل كلمات الثناء لا تفيها حقها، وكل عبارات الشكر تقف عاجزة أمام عطائها العلمي والمعرفي.

وفي الختام، نتمنى أن يكون البحث قد ساهم ولو بقدر يسير في إنارة هذا الموضوع الذي ترجو أن يكون بداية لدراسات أخرى.

مدخل:

نشأة رواية الأزمة الجزائرية

رغم تنوع الأنماط الفكرية والمعرفية يبقى السرد أكثر تلك الأنماط فاعلية انطلاقا من دوره الهام في تشكيل الوعي وتكوين أسلوب إدراكه للحياة وتمثلاتها النوعية، وتطوير قدراتنا الذهنية، فالسرد بطريقة ما هو تمثيل فني لمراحل حياتنا وتوثيق لأحداثها بطريقة إبداعية جمالية وبكل ما تحمله تلك المراحل والأحداث من آمال وطموحات.

ولما كانت الرواية أحد أهم أنواع السرد وإحدى قنواته الإبداعية التي تحظى بخصوصية ملفتة قراءة وتأويلا. فقد استلهمت الرواية الجزائرية الجديدة عوالمها السردية بناء على الأوضاع المستحدثة والأحداث المستجدة التي ميزت الواقع خلال مرحلة هامة من تاريخ الجزائر المعاصر، وهنا سنخص الحديث عن مرحلة العشرية السوداء بوصفها إحدى حلقات التطور الهامة في مسيرة الرواية الجزائرية الجديدة، حيث استفادت نصوص المحنة من منجزات الرواية الجديدة على مستوى الرؤية والأداة، إذ يتجه أصحاب الرواية الجديدة نحو التخلي عن المفهوم التقليدي على مستوى الشخصية والحدث والمكان أيضا والبحث عن أساليب جديدة ومتغيرة في الشكل والمضمون وهو تغيير ناتج عن تغيير الفرد وتجدد على مستوى وعي الإنسان الذي أسس لكتابة جديدة.[1]

إن المتتبع لمسار الرواية الجزائرية في أواخر القرن الماضي يدرك مدى ارتباطها بتلك المرحلة الحرجة سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية وحتى الدينية والفنية، فقد عصفت بالمجتمع الجزائري أزمة متعددة الأبعاد خلفت مرحلة مخصوصة اصطلح عليها العشرية السوداء.

ولأن الإرهاب ليس بالحدث البسيط فقد قادت الأحداث بالرواية إلى الانعطاف السريع، ولقد "حاولت الرواية الجزائرية الجديدة التعبير عن الأزمة، دونما شك ستكون منعرجا كبيرا للكتابة الراهنة في الجزائر القائمة فعلا على محك التجربة المعايشة والمعاناة، والشهادة والاستشهاد، والمعاينة للمشهد وللفزع الأكبر"[2]، فلم يكن الإرهاب حدثا بسيطا أو عارضا.

1- حسان منيعي، قراءة في الرواية، دار سندي للطباعة والنشر، المغرب، ط 2، 1996.

2- حفناوي بعلي، الرواية الجزائرية الجديدة، المنفى الملحمي والسردي الأسطوري، نصوص النص الصوفي، اليازوري، ص 7، كتاب رقمي، 20 سبتمبر 2020.

إن الأدب الجزائري لا يختلف عن الآداب الأخرى فهو يبحث عن الظرف الراهن ومعاينته وما يحدث له من تحولات وتغيرات "ولعل الغاية من هذا تكمن في الكشف عن العنف والإرهاب الذي يبرز بشكل لافت في التسعينات وقد أثر بوجه أو بآخر على النص الجزائري ويعني ذلك أنه ينطوي على متغيرات جديدة في مسار إبداع الجزائري وبخاصة في الجنس الروائي الذي يجسد النصوص الإبداعية الروائية".[1]

بذلك لم تنشأ رواية الأزمة من فراغ وإنما كانت مرآة عاكسة لما عاشه المجتمع الجزائري في هذه الحقبة التي تركت بصمة سوداء في التاريخ الجزائري إذ تعتبر "روايات التسعينات بمختلف أشكالها وبدرجات متفاوتة عن هذه الوضعية ويمكن الوقوف على ذلك من خلال جدل الحالة والفعل في هذه الروايات، لأننا نحسب أن تتابع الحالات والتحولات في النص السردي هو المسؤول عن إنتاج المعنى".[2]

في ظل الأوضاع السوداوية والأجواء العاصفة التي ضربت المجتمع الجزائري لم تكن الرواية بعيدة عن هذه الأزمة بل كانت في لب الصراع عبر تصوير مظاهر العنف والتعنيف والظلم والإرهاب فاستلهمت أقلام الروائيين الواقع المرير ففي هذه الفترة كانت الرواية هي الملاذ الذي احتضن الأزمة لتستوعب كافة الأوجاع والممارسات القمعية، وهذه الأوضاع عكست رؤية المؤلف من الوضع الراهن آنذاك. ورغم سيطرة الخطاب الإيديولوجي على الرواية إلا أنها لم تفقد قيمتها الفنية والجمالية. ومن أبرز الروايات في تلك الفترة نذكر منها:

- رواية "سيدة المقام" " لواسيني الأعرج" التي صدرت عام 1991 يصور من خلالها معاناة المرأة إبان العشرية السوداء في خضم المواجهات بين الشرطة والجماعات الإرهابية المتطرفة.
- رواية "الشمعة والدهاليز" " لطاهر وطار" التي صدرت سنة 1997.

1- مزادي شارف، أدب المحنة في الرواية الجزائرية المعاصرة، الأدبي الإيديولوجي فر رواية التسعينات، أعمال الملتقى الخامس للنقد الأدبي في الجزائر، المركز الجامعي بسعيدة، 2008 ص 82.

2- آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، ط 2، 2011 م، ص 78.

– رواية "عابر سرير" " لأحلام مستغانمي " تصور فيها بطل القصة وقد أخذ صورة لإحدى المجازر إبان العشرية السوداء، ومنه أخذت تلك الصورة أحسن صورة في العام، وبسبب هذه الصورة تبدأ الأزمة.

– رواية "رمل الماية" "لواسيني الأعرج" التي صدرت سنة 1993 وتحكي عن الواقع المرير الذي عاشه الشعب الجزائري خلال فترة الأزمة.

– رواية" الورم" "لمحمد ساري"... وغيرها.

ولقد مثلت هذه الروايات ما يعرف برواية الأزمة، حيث واكب الروائي الأحداث الشنيعة فكانت الأعمال الروائية تعبر عن الأزمة التي اجتاحت البلاد وهذا راجع للظرف الذي عاشه الشعب الجزائري والمعاناة التي تكبدها والصراع مع الإرهاب ومخلفاته الدموية وسمي بأدب المحنة نسبة للمحنة التي مست الجزائر، حيث عايشت الرواية الواقع وصورت المجتمع الجزائري بكل جوانبه، وبالتالي أصبحت المأساة والمحنة تيمة في النص الروائي ولم يكن أدب المحنة محصورا في هذه التسمية بل اتخذ له عدة توظيفات أخرى منها أدب الصدمة، أدب العشرية السوداء، رواية الأزمة، الأدب الاستعجالي.

الأدب الاستعجالي والرواية الاستعجالية بناء على أن "الرواية الجزائرية الجديدة التي ولدت بعد مخاض عسير قد واكبت التغيرات والتحولات السوسيوثقافية (بمرحلتيها مرحلة الكتابة الاستعجالية، ومرحلة كتابة الصداع الثقافي إثر صعود مصطلح العولمة سواء المحلي (الهوية أو العالمي)".[1]

مما نتج عنه ذيوع الاصطلاح الجديد سابقة الأدب الاستعجالي.

وبالحديث عن رواية المحنة وتجلياتها وعلاقتها بتمثلات الرواية الجديدة فإن الكاتبة الجزائرية لم تكن بمنأى عن تلك الأحداث التي شكلت خصوصية المرحلة، حيث عالجت الوضع المأساوي، وكما حاولت التعبير عن معاناة المرأة ونضالها في سبيل فك القيود والتحرر من

1– بوزيان بغلول، الرواية الجزائرية الجديدة متى ؟ لماذا ؟ كيف ؟ قراءة من منظور النقد الثقافي، ط 1، ص 84، ديسمبر 2020.

الضوابط التي فرضها الواقع آنذاك، فكانت أحداث العنف والاختطاف والاغتصاب إحدى أهم الأسئلة والموضوعات المتناسلة عن الحدث المركزي الذي يمثله الإرهاب ومن أهم تلك الروايات نجد أحلام مستغانمي في "ذاكرة الجسد" و "وطن من زجاج" لياسمينة صالح.

إن فترة العشرية السوداء بكل ما تحمله من آلام وآمال حملت لواء تاريخ الجزائر وتسجيل وقائعه، فعبر الروائيون عن إيديولوجياتهم وقناعتهم عبر تصوير الواقع واستنطاق أحداثهم المثقلة بصراعات سياسية ودينية وثقافية أيضا عبر طرائقه المتنوعة، وقد كان للمثقف والروائي بصورة خاصة نصيب أوفر من العنف خلال الأزمة بعد أن كان الخطاب الروائي وسيلة للتنديد وفضح المسكوت عنه.

الفصل الأول :

قراءة في المصطلح والمفهوم والتيمات

1- مفهوم الأزمة:

الأزمة من أهم المفاهيم الواسعة الانتشار، حيث أصبحت تمس بشكل أو بآخر كل جوانب الحياة بداية بالأزمات التي تواجه الفرد مرورا بالأزمات التي تمر بها الجماعات والحكومات والمؤسسات وانتهاء بالأزمات الدولية، وقد تعددت تعاريفها:

1-1- لغة

ورد في الصحاح أزم – (الأزمة) الشدة والقحط و (أزم) عن الشيء أمسك عنه وبابه ضرب.[1]

أما القرآن الكريم فعبر عن الأزمة بلفظ الفتنة في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ سورة الأنفال، الآية: 25.

وفي قوله أيضا: ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سورة آل عمران، الآية: 165.

عبر القرآن هنا عن الأزمة بلفظ المصيبة.

1-2-اصطلاحا

تعدت التعريفات في تناول مفهوم الأزمة كنتيجة مباشرة للتغيرات البيئية الداخلية والخارجية السريعة والمتلاحقة التي تعمل في إطارها المنظمات المختلفة.

يعرف قاموس (وبستر) الأمريكي الأزمة على أنها "حالة خطيرة وحاسمة تستوجب مواجهة سريعة. إلا حدث تغير مادي ينشأ عنه موقف جديد قد يتضمن نتائج وآثار سيئة.[2]

1- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب، الحديث، الكويت، ط 1، 1994 م، ص 15.

2- محمد عبد الله المرعول، الأزمات مفهومها وأسبابها وآثارها ودورها في تعميق الوطنية، مكتبة القانون والاقتصاد، الرياض، 2014 م، ص 21.

كما عرفت الأزمة بوصفها على أنها:" نقطة تحول في أوضاع غير مستقرة، قد تقود إلى نتائج غير مرغوبة، إذ كانت الأطراف المعنية غير مستعدة أو غير قادرة على احتوائها وإدراك أخطارها، كما أن هناك من ركز في تعريفه للأزمة على الجانبين المتقابلين السلبي والإيجابي وذلك من خلال اعتبارها حالة توتر ونقطة تحول تتطلب قرار ينتج عنه مواقف جديدة سلبية كانت أو إيجابية".[1]

2- مفهوم رواية الأزمة الجزائرية:

تماشت رواية الأزمة منذ ظهورها مع الواقع الاجتماعي الجزائري، فمثلت وسيطا موثوقا في ترجمة تحولاته بدقة وموضوعية حيث عرفت رواية المحنة على أنها:" الرواية التي ظهرت خلال سنوات المحنة الجزائرية، واتخذت من المأساة الجزائرية تيمة مهيمنة، ومن الأحداث والحرب الأهلية غير المعلنة بؤرة للسرد تتوالد منها أسئلة النص، وعلى ضوئها تتحدد علاقة الذات / الآخر، الحياة / الموت، الذاكرة/ النسيان، الوطن/ المنفى، وغيرها من الثنائيات الضدية التي ارتكزت عليها هذه الرواية".[2]

ظهرت رواية الأزمة إذن لتسليط الضوء على الحقيقة وكشف ما كان يجري آنذاك، حيث اتسم الواقع الجزائري خاصة بانفجار دموي بين النظام والجماعات المسلحة.

وفي ظل التعتيم الإعلامي والتظليل السياسي، برزت أعمال أدبية ونصوص روائية كعمل مقاوم، لكسر الصمت وكشف ما هو مخفي.

كما اعتمد العديد من الكتاب على الرواية باعتبارها شكلا فنيا قادرا على نقل المعاناة الجماعية، وتحليل الخلفيات السياسية والاجتماعية للأزمة، بل وتحميل المسؤوليات أيضا ومن أبرز الأسماء التي ارتبطت بهذه المرحلة نجد: رشيد بوجدرة، الطاهر وطار، ياسمينة خضرا.

1- محمد عبد الله المرعول، الأزمات مفهومها أسبابها وآثارها ودورها في تعميق الوطنية.

2- ملاح كيسة ميساء، إيديولوجية رواية المحنة الجزائرية بين 1992، 2002، جامعة بومرداس، د.ت، ص 152.

لقد كانت الأعمال الروائية في تلك الفترة تعبيرا عن أزمة البلاد والشعب، وتحول اهتمام جل الروائيين الجزائريين إلى التعبير في روايتهم عن الحالة الراهنة".[1] أي أن هذه الروايات انطلقت من هاجس إعادة صياغة الذاكرة الجماعية، مستحضرة الواقع الاجتماعي المأزوم، ومتفاعلة مع مظاهر العنف والظلم، حيث وثقت آثارهما ورصدت تجلياتهما في بنية المجتمع وصيرورته التاريخية.

3- الفرق بين رواية الأزمة والرواية الاستعجالية:

اختلفت تسميات رواية التسعينيات في الجزائر وتعددت المصطلحات المستخدمة لوصفها، وذلك تتبعا لاختلاف الخلفيات الفكرية والإيديولوجية التي تبناها كل باحث أو ناقد ما جعل كل تسمية تعكس زاوية نظر معينة لتلك المرحلة الذاتية، فالفرق بين أدب الأزمة والأدب الاستعجالي جوهري من حيث المعالجة الفنية فأدب الأزمة هو ذلك الأدب الذي ينكب عليه أثناء الأزمة الكبرى كالحروب والثورات... إلا أنه يرتقي في الطرح وينضج في المعالجة فلا يكتفي بوصف الحدث، إنما يذهب إلى تحليله واستكشاف آثاره النفسية والاجتماعية، مما جعل هذا النوع الأدبي خالدا أو على الأقل قابلا للبقاء والتأثير بعد زوال الأزمة.

أما الأدب الاستعجالي فيبنى على التفاعل السريع مع الحدث، فيعبر عادة على الانفعال اللحظي، ويكون في الغالب نوعا انفعاليا مباشرا وضعيفا من حيث الجوانب الفنية والتركيبة، ولذلك يضعف أثره وتختفي معه المناسبة التي كتب من أجلها في كثير من الأحيان وبالتالي فالأدب الاستعجالي "عبارة عن ردود استعجالية على مرحلة تبدو في ذهن الكثير أنها استعجالية".[2]

1- حفناوي بعلي، تحولات الخطاب الروائي الجزائري، آفاق التجديد ومتاهات التجريب، دار اليازوزي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د.ط، 2015 م، ص 212.

2- أحمد مسعود وآخرون، الأدبي والإيديولوجي في رواية التسعينات، روايات الطاهر وطار، وسيني الأعرج، أنموذجا، ص 86.

وبالتالي كتابات بعض الروائيين جاءت متتالية واستعجالية ولم تأخذ وقتها الكافي للنضج الفني، أي جاءت كاستجابة سريعة للواقع العنيق فطغى عليها الطابع التوثيقي والانفعالي على حساب البعد الجمالي والفكري.

4- تجليات المتن في رواية الأزمة:

4-1- الإيديولوجيا :

4-1-1- لغة:

الإيديولوجيا من المصطلحات الجديدة والحديثة على مختلف اللغات فالدارس لهذه الكلمة يرى أنها تتكون من قسمينidio وتعني فكرة وlogos وتعني علم، وبالتالي معناها هو علم الأفكار، وقد تعددت مفاهيمها في العديد من الموسوعات والمعاجم:

- ❖ تعني كلمة الإيديولوجيا في المعجم الأبجدي أنها "فن البحث عن التصورات والأفكار".[1]
- ❖ أما في" قاموس الكامل" فقد عرفها على أنها:

"إيديولوجيا "Idéologie" على الأفكار المذهبية، فكرية، أي أن مذهبا ما يتبنى مجموعة من الأفكار وهي تمثل إيديولوجيته".[2]

- ❖ الإيديولوجيا في موسوعة لالاند الفلسفية:

الإيديولوجيا كلمة ابتكرها (دستوت دي تراسي) علم موضوعه دراسة الأفكار ومزاياها وقوانينها وعلاقتها مع العلامات التي تمثلها وبالأخص أصلها.

1- المنجد الأبجدي، المؤسسة الوطنية لكتاب، الجزائر دار الشرق، بيروت، ط 5، ص 184.

2- الكامل الكبير، قاموس اللغة الفرنسية الكلاسيكية والحديثة المعاصرة، فرنسي-عربي، مكتبة لبنان، (دط)، (دت)، ص60.

"والإيديولوجيا (...) في الواقع تعبير عن وقائع اجتماعية ولاسيما عن وقائع اقتصادية فكر لا يعيبه ذلك الذي يبنيه، أو على الأقل لا يأخذ في حسبانه أن الواقع هي التي تحدد فكره، بهذا المعنى شديد التداول في الماركسية".[1]

ومن خلال هذه التعاريف نستنتج أنها كلها تصب في معنى واحد هو أن الإيديولوجيا علم جديد مبتكر للأفكار يبحث في خصائصها، ويركز على التحليل العلمي لها.

4-1-2-اصطلاحا:

الإيديولوجيا من أهم المصطلحات التي عالجها الباحثون والفلاسفة في مختلف المجالات إذ تعد من أكثر المصطلحات التي سال حولها الكثير من الحبر فهي مهمة في التاريخ الإنساني ومن أكثر المفاهيم تعقيدا حيث تعددت التعاريف المقدمة لها وأهمها:

1/ يرى ألتوسير أن:" الإيديولوجيا هي نظام من التخيلات والأساطير، والأفكار والتصورات... التي تمتلك وجودا ودورا تاريخيا داخل المجتمع وتتميز في العلم من خلال تفوق وظيفة الممارسة الاجتماعية فيها على الوظيفة المعرفية"[2] أي أن الإيديولوجية لها تأثير عميق وطويل المدى في المجتمع، وليست مجرد معرفة نظرية وبل تساهم في تشكيل الواقع الاجتماعي والممارسات اليومية.

2/ يعرفها عبد الله العروي في كتابه "مفهوم الإيديولوجيا" "منظومة كلامية سجالية تحاول أن تحقق بواسطتها قيمة ما باستعمال السلطة داخل مجتمع معين".[3]

ويقصد بهذا التعريف أنها مجموعة من الأفكار والخطاب الجدلي الذي يهدف إلى تحقيق غايات داخل مجتمع معين بواسطة السلطة.

1- موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالند، تعريب خليل أحمد خليل، أشرف عليه أحمد عويدات، مج 1، بيروت، لبنان، ط 2، 2001، ص 611، 612.

2- يعيش حرم، خزار وسيبة، تدريس علم الاجتماع بين العلوم والإيديولوجية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، 2001، ص 20.

3- عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجية، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط 7، 2003، ص 14.

3/ أما فلاديمير لينين يعرف الإيديولوجية على أنها:" مجموع أشكال المعرفة والنظريات التي تنتجها طبقة معينة التعبير عن مصالحها، صحيح أن الإيديولوجية قد تعكس الحقيقة وقد تكون زائفة ولكنها تبقى مفيدة وفائدتها هذه لا تعتمد بالضرورة على صدقها، فكل الطبقات يمكن أن تكون لهما إيديولوجيتها".[1] ويقصد بهذا أن الإيديولوجية تمثل مزيجا من المفاهيم والرؤى مرتبطة بالمجتمع، ولكل مجتمع إيديولوجيته الخاصة به وكل هذه التعريفات تجمع على أنه من الصعب الوصول إلى تعريف مشترك ومتماثل وذلك لاختلاف وجهة نظر المفكرين والباحثين فكل منهم يعرفها على حسب رؤيته الفكرية والفلسفية.

4-1-3- علاقة الإيديولوجيا برواية الأزمة:

استطاعت الرواية كنوع من الأجناس الأدبية أن تفرض وجودها كونها الأكثر قدرة على التعبير عن الوقائع الاجتماعية والمواقف الفكرية، أي أنها المرآة العاكسة لبث هموم وهواجس الكاتب الفكرية والإيديولوجية خاصة أنها كانت وسيلة للأدباء لنقل الأحداث، مصورة الآلام والمعاناة التي عاشها الجزائريون خلال العشرية السوداء، وعندما نقول الأدب أو الخطاب نقول الإيديولوجية فعلاقتهم متداخلة بشكل معقد، تتشكل فيها الأسس الفكرية ومن ثم يتم توجيه الخطاب الذي يعكس أو يواجه الأزمة فهي مسؤولة عن نجاح الإنتاج الأدبي، ففي مجال الأدب تشكلت الأعمال الأدبية بتأثيرات إيديولوجية، أثرت في طبيعتها حيث استلهم الأدباء من هذه الإيديولوجيات في صياغة نصوصهم الإبداعية.

"إذ يستند الأدب في كل عصر إل إيديولوجيا تمكنه من تحقيق ذاته ويمكنها من فرض سيطرتها على المجتمع وأفراده"[2] فالأدب ليتمكن من تحقيق النضج لنصوصه، يجب عليه الاستناد على إيديولوجية تمنحه بنية وشكلا جديدا أو مغايرا وللمبدع أيضا دور في إعادة بناء هذه الإيديولوجية وتشكيلها من جديد لإنتاج نصوص إبداعية جديدة ومبتكرة "بهذا المنظور يعد

1- يعيش حرم، خزار وسيلة، مرجع سابق، ص 17.

2- حسيبة ساكر، علاقة الإيديولوجية بالأدب، جامعة الشيخ العربي التبسي – الجزائر، ع 3، 2017، ص 184.

الأدب إعادة إنتاج ذات خصوصية للإيديولوجية، وليس نتاجا لها لأنها موجودة من قبله ولأنه أحد خطاباتها، ويبدو الأديب كأنه عامل في ورشته لإنتاج النصوص يراكم تجربة الأجيال السابقة في فكره وبين يديه وينطلق منها نحو آفاق جديدة"[1] وبالتالي يعد الأدب تشكيلا وتنظيما لإيديولوجيات وإعطائها شكلا جديدا، أما المبدع فله دور في هذا للوصول إلى صورة مختلفة عن ما سبقها.

إن العلاقة بين الإيديولوجية والرواية (خطاب المحنة) متينة وقوية لأن الرواية أكثر الفنون الأدبية انفتاحا على المجتمع واحتواء للأحداث مقارنة بغيرها، فهي ترصد الصراعات والتناقضات الإيديولوجية الواقعة في كل مجتمع "فالإيديولوجيات تقتحم النص الأدبي باعتبار مكوناته الأولية، كما أنها حين تدخل النص لا تتمتع بالقوة نفسها التي لها في الواقع فهي محاصرة بوجود بعضها إلى جانب بعض".[2]

وبالتالي فإن الإيديولوجية تعتبر المادة الأساسية التي لا يمكن للعمل الأدبي أن يكتمل بدونها، ونتيجة للتأثير الأدبي بها، فإنها يسقطها على نصوصه الإبداعية فيمنح بذلك فرصة لشخصياته الروائية ضمن مجال للتعبير عن أفكارهم الإيديولوجية.

ونخلص من كل هذا إلى أن العلاقة بين الأدب والإيديولوجيا وطيدة ووثيقة كلاهما يكمل الآخر "فلا وجود للأدب إلا بوجود الإيديولوجية، وكذلك الأعمال الروائية فلكي تتشكل وتخرج في صيغة كاملة يجب تضارب الإيديولوجيات داخلها".[3]

1- المرجع نفسه، ص 186.

2- حميد حميداني، النقد الروائي والإيديولوجية، المركز الثقافي العربي – بيروت، ط 1، 1995، ص 26.

3- سلمى شلاط، سلمى بوعمامة، العنف الإيديولوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة، مورسو تحقيق مضاد لكمال داود أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي كلية الآداب واللغات، جامعة محمد الصديق بن يحي – جيجل، 2020/2019، ص 29-30.

4-2- الدين :

تفرض الطبيعة البشرية نظاما اجتماعيا معينا، وعبر العصور كان الدين شرطا ضروريا لتنظيم الحياة وضبطها.

ولكل ثقافة دين تستند لها.

وكلمة الدين يعتريها الكثير من الالتباس والغموض ولعل هذا الاختلاف راجع إلى تعدد المذاهب والتيارات الدينية والكثير منها تناول هذا المصطلح وسنحاول الإلمام بهذا المفهوم.

يعرفه يوسف القرضاوي على أن "الإسلام شامل لكل المعاني والأبعاد السائدة من فلسفة وأديان أخرى، ومذاهب هذا الشمول استوعب روح الإنسان وكيانه وشمل الزمان كله".[1]

أما السيد قطب يعرفه على أنه "المنهج الإلهي الذي يمثله الإسلام في صورته النهائية، كما جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم، لا يتحقق في الأرض، وفي دنيا الناس بمجرد تنزله من عند الله، لا يتحقق بكلمة عن الإلهية، مباشرة لحظة تنزله، ولا يتحقق بمجرد إبلاغه للناس وبيانه، ولا يتحقق بالقهر الإلهي على نحو ما يمضي به نمسه في دورة الفلك وسير الكواكب، إنما يتحقق بأن تحمله جماعة من البشر، تؤمن به إيمانا كاملا، وتستقيم عليه بقدر طاقتها، وتجتهد لتحقيقه في قلوب الآخرين وفي حياتهم كذلك".[2]

هذا هو المنهج السمح والطريق المستقيم "هذه هي خطة الحركية ووسيلة وهذه هي الحقيقة التي شاء الله أن يعلمها للجماعة المسلمة".[3]

يقول الله تعالى: "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض".

1- ينظر، يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 10، 1418 هـ، ص 105.

2- سيد قطب، هذا الدين، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 14، 4121 هـ، ص 9.

3- المرجع نفسه، ص 10.

إن المتمعن لهذه المفاهيم يستشف ويتحقق تحققا كليا بأن الإسلام هو الدين الصحيح والمنهج الرباني الذي نسير عليه، الذي جاء الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ليعلمه لنا ويجعل لحياتنا هدفا ومعبودا واحدا نتجه له.

هذا الدين القائم على العبادة والوحدانية والعمل الصالح، فالإسلام حاضر في كل قلوب البشر فهو فطرة الإنسان السوي.

وليس موضوع الدين بعيدا عن الرواية التسعينية أو رواية المحنة فقد واكبت المأساة بكل تفاصيلها كيف لا والتيار الديني كان طرفا في الصراع القائم آنذاك صراع راح ضحيته الكثير من النساء والرجال والأطفال، هذا التيار الديني الذي صورته الرواية في تلك الحقبة على أنه إرهاب تحت غطاء ديني، إنه الجلباب الديني سواء للرجل أو المرأة كان رمزا للعنف والإرهاب حتى وإن كان خلاف ذلك ليس كل من يرتدي قميصا أو جلبابا فهو إرهابي لكن الوضع في تلك الفترة له قراءات مختلفة.

فالدين والسياسة في العشرية السوداء وجه لعملة واحدة "عندما نقف أمام موضوع علاقة الدين بالسلطة، إنما نقف أمام إشكالية يصعب النظر عليها من زاوية واحدة بل لابد أن يتم تناولها من زوايا متعددة حتى نستطيع إلقاء الضوء الكاشف لكل الخفايا".[1]

هذا ما جعل كتاب الأزمة أو المحنة يعرضون في رواياتها لهذه العلاقة وهذه الثنائية فكشفت رؤاهم عن مدى تأزم الوضع خلال عشرية الدم "وقد تجلت في المتون الحكائية كثير من الصور تتوزع بين صورة المتطرف وصورة السياسي وصورة المثقف ورجل الدين والعامل العادي والبسيط وصولا إلى المرأة والأطفال"[2]، وهذه الأزمة وكل هذا التطرف لم يلحق الضرر بمن تسببوا به، ولم تكن الهزيمة لتيار دون الآخر، وإنما الهزيمة الكبرى للشعب الجزائري لهذا

1- د. لزهر بوراضي، جدلية الدين والسياسة وثنائية التداخل والتصادم، المجلة العلمية لجامعة الجزائر 3، العدد 09، ديسمبر 2017.

2- سعاد عبد الله الفنزي، صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة –دراسة نقدية، ص 27، أطروحة مقدمة لكلية الدراسات العليا الاستفاء جزء من متطلبات درجة الماجستير الكوكب، أبريل 2008.

يقول حاتم رشيد عن الأزمة الجزائرية "أخشى بعد أن يغرق الجزائريون في بحر من دمهم أن يكشفوا أنهم مسلمون وأنهم مختلفون حول ما هم متفقون عليه، وعلى ما هم عليه بالفعل ليكتشفوا أنهم جميعا في النهاية جزائريون قدرهم أن يقاسموا الأرض نفسها والهواء نفسه، وهو اكتشاف لا يلزمه هذا القدر المفرط من الجنون".[1]

وهذا ما اضطر الأدباء لتسجيل هذه الأحداث الدامية والوقائع المأساوية، أين أصبح فيها التدين إرهابا لما كانت تحمله خطابات هذه الجماعات الإسلامية من أفكار دينية محملة بالقرآن والأحاديث، حيث كان غرضهم ليس الدين في حد ذاته أو توعية الناس حول دينهم وإنما كان الهدف هو استمالة الشعب وكسب ثقتهم وبالتالي الوصول إلى السلطة على حساب الدين. كنوع من أنواع الترغيب عبر شعارات وخطب رنانة.

وقد تحدثت الكثير من الروايات عن هذه الجماعات الإسلامية وبروزها على الساحة السياسية والاجتماعية في رواياتهم وكل منهم أعطى لها اسم، ومن أبرزها رواية سيدة المقام ورواية الشمعة والدهاليز كل أطلق اسما يراه مناسبا لهذه الحركة الدينية.

ففي رواية الشمعة والدهاليز عرفوا باسم "الحركة" وفي رواية سيدة المقام سموا "حراس النوايا" وباسم "سلفية القرية" وفي رواية "كراف الخطايا" تقول الدكتورة عبد الله العنزي "معظم ما بهؤلاء ليس التزاما دينيا، ولا صحوة أخلاقية مبنية على وعي إيماني مستنير، إنما هو هوس مجلبب وحقد ملتحي قد ينطفئ يوما تحت ضغط الظروف وإلحاح الأوضاع القاهرة والرياح المتعاكسة".[2]

هذه الأوضاع هي التي ارتمى المواطن في حضنها وسار دون وعي وراء من أرادها أن تكون كذلك للوصول إلى السلطة ويكون المواطن البسيط المتمسك بدينه مجرد هدف للتلاعب بعواطفه، واقتياده كالقطيع.

1- حاتم رشيد، الأزمة الجزائرية إلى أين، دار سندباد للنشر -عمان- الأردن، 1999، ص 48.

2- سعاد عبد الله العنزي، صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة دار الفراشة للطباعة والنشر، الكويت، ط1، 2010م، ص 75.

4-3- العنف:

إن ممارسة العنف وحب السيطرة والتسلط ظاهرة لازمت الإنسان عبر مراحل تطور حياته، حتى وإن اختلف في أشكاله ووحدته ووسائل استعماله من عصر زمني إلى آخر وهو سمة من سمات الطبيعة البشرية، يتجلى في كل صور التعبير ويتسم به الفرد والجماعة، ويكون حين يفقد العقل قدرة الإقناع والاقتناع فيتجسد العنف في أشكال القتل والتهديد والاستهزاء والإيذاء والحط من الآخرين والاستعلاء والسيطرة والحرب والنفسية وغيرها من الوسائل.

فالاتجاه نحو العنف، نجده يتجسد في الفعل الاجتماعي لبعض الأفراد، كما نجده في تفاعلات بعض الجماعات في المجتمع الواحد.

ويعد مفهوم العنف مفهوما شائكا ومعقدا يصعب تحديده بدقة، فهو يختلف باختلاف الزاوية التي ينظر له منها وبحسب ضيقها واتساعها وبالنظر إلى المجال المعالج فيه.

وهنا يعرفه بعض الفقهاء بأنه "سلوك بعيد عن التحضير تحركه الدوافع العدوانية والطاقات الجسمية وهو ينصب على الأشخاص والممتلكات لقهرهم".[1] واعتبره البعض الآخر "سلوكا يتسم بالعدوانية يصدر عن طرف بهدف إخضاع طرف آخر في إطار علاقة غير متكافئة القوى مما يتسبب في إحدى أضرار جسدية أو مادية أو معنوية أو نفسية".[2]يعني أن العنف سلوك مؤذي، يلحق الضرر بالفرد وبكل ما هو مادي محيط به مخلف بذلك إضرار تتفاوت خسائرها وأخطارها، والعنف يتعدى على اللامساواة، حيث يستغل الطرف القوي موقفه لإلحاق الضرر بالطرف الأضعف وذلك باستخدام القوة أو التهديد.

1- عمر عبد الله المبارك الزواهرة، العنف داخل مراكز الإصلاح والتأهيل، ط 1، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2013، ص 29.

2- العنف ضد المرأة، تقرير صادر عن مجلة بشرى الإلكترونية، عدد 77، لسنة 2003.

ويؤكد مغني زياد على "على مدى واسع من السلوك يعبر حالة انفعالية تنتهي بإيقاع الأذى أو الضرر بالآخرين سواء كان فردا أو شيئا، وسواء تمثل في الإيذاء البدني أو المفهوم اللفظي أو تنظيم الممتلكات، وقد يصل إلى حد التهديد بالقتل".[1]

وفي تعريف آخر للعنف لمحمد عطاف:" فعل ممنوع قانونيا وغير موافق عليه اجتماعيا"[2] ويقصد بهذا أن العنف لا يتعلق دوما بما يراه القانون والمجتمع أمرا ممنوعا وسلوكا منحرفا، سواء اتجاه الفرد أو المجتمع، فالعنف نتاج انفعال عاطفي واجتماعي يكون المجنى عليه طرفا فيه، ولهذا فالعنف بكل ما يحمله من معاني يتحول إلى مادة إبداعية يجسده الروائي في نصه الإبداعي.

ومن خلال كل هذه التعاريف نستنتج أن العنف هو التهديد واستخدام القوى ضد الآخرين سواء كان ناتج عن فرد أو جماعة مما يترتب عنه إلحاق الأذى بالآخرين، بناء على هذه الأهمية التي يكتسبها موضوع العنف في الدراسات الاجتماعية والنفسية والسياسية، فقد تحول إلى مادة إبداعية أيضا عندما تناوله المبدعون ضمن أعمالهم خاصة الروائية منها، فكان العنف بكل ما يحمله من معاني ارتبط بالنص الروائي، فكان أحد أهم متونه.

وإذا كان العنف في الجزائر قد ارتبط بشكل أو بآخر بظاهرة الإرهاب الذي اتخذ من الدين الإسلامي ذريعة له للوصول إلى عرش السلطة حيث وضع الإسلام تحت مفهوم خاطئ، بغية تحقيق غايتهم المنشودة في أن يكون الحكم حكما إسلاميا، بهدف دعم الشعب لهم خصوصا إذا كانت هناك فئة من هذا الشعب تنقاد وراء الوعود الكاذبة والآراء المزيفة وتصدقها وتراها المثلى في البلاد وقد أبرز بشير مفتي معالم هذا الجانب في إحدى روايته بقوله:" كانت الجماعة الهاربة هي التي تريد أن تصل بذين إلى سقف العرش يقلب كل شيء على عقبيه وكانت فترة حالمة بنسبة لهؤلاء، أولئك الناس تسير خلفهم أو تتبعهم كموجة غامضة" يتضح لنا من خلال هذه المقولة أن الإرهاب يسعى للوصول إلى السلطة أو تحقيق أهداف معينة

1- رشدي شحته أبو زيد، العنف ضد المرأة وكيفية مواجهته، ط 1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2008، ص 19.

2- محمد عطاف غيث، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية للكتاب، ص 259.

باستخدام الدين كوسيلة للوصول إلى قمة سلطة مع التلاعب بالواقع أو قلبه على رأسه، ويشير ذلك إلى محاولة لتغيير الوضع القائم بطريقة جذرية ومخالفة للأعراف أو للمنطق تحمل كذلك في طياتها نقدا للممارسات التي قد تستخدم الدين لأغراض سياسية أو شخصية، وهي دعوة للتفكير في كيفية تأثير هذه الأفعال على المجتمع أو على مسار الأحداث.

وقد تجلى العنف والإرهاب في الأعمال الأدبية خلال فترة العشرية السوداء فكانت الرواية في مرحلة التسعينات مرآة عاكسة للوضع الذي آل إليه الوطن في تلك الفترة وما رافقها من انقلاب أمني رهيب راح ضحيته آلاف الجزائريين من مختلف الفئات الاجتماعية، لتصبح بذلك الرواية (رواية المحنة) شاهدة على عنف السلطة وعنف الإرهاب معا "حيث أكدت على عجز الأفراد على بناء الدولة وربطها بإنسانية وكرامة الشخصية فعبرت على علاقة السلطة بالناس تعبيرا عميقا، أما الشخصيات التي قدمتها الرواية الجزائرية خلال فترة العنف تنتمي إلى درجة سفلى من المجتمع فجاءت بلا ملامح في واقع اجتماعي قاسي كما جاءت اللغة في النص الروائي الجزائري تصوير العنف الاجتماعي المدمر".[1]

لقد شهدت الجزائر أزمة استمرت لمدة عشر سنوات، أثرت بشكل عميق في المجتمع، هذه الفترة أنجبت نوعا خاصا من الأدب، حيث ألهمت الكتاب لإنتاج أعمال أدبية وروائية ارتبطت وتأثرت بشكل مباشر بالعشرية السوداء، كما اتجه البعض إلى تسمية هذه الرواية بأدب المحنة أو الرواية الاستعجالية، رواية العنف والرواية السوداء... مثلما أشرنا إليه سابقا "فهذه النصوص الروائية حاولت الاقتراب من الواقع وتفسير الأزمة واندلاع العنف في الجزائر وكانت شهادات كتبت تحت ضغط الأحداث بصفة استعجالية لتسجيل الراهن الجزائر وتندد بقتل ذاتية الإنسان،

1- الشريف حبيلة، الرواية والعنف، دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط 1، 2010، ص 272-273.

كما حاولت أن تطرح جملة من الأسئلة حول قضايا الراهن وواقع الجزائر المتسم بالعنف والدموية".[1]

يمكن القول إن موضوع العنف والإرهاب قد طغى على معظم الأعمال الروائية في هذه الفترة إذ حاول من خلالها الكتاب نقل الفاجعة التي أصابت الجزائر وشعبها، وبالرغم من خطورة هذه المرحلة، إلا أنهم لم يخافوا وصوروا الواقع عبر لغة "القلم" فدرس النقاد هذه الروايات باعتبارها المصدر الأساسي الذي استلهموا منه للغوص في الواقع المأساوي، حيث تناولوا قضاياه المأزومة والمشحونة بكلأشكال العنف والصراعات التي طغت على تلك الحقبة، وبهذا تمكن الرائي من نقل المجريات الحاصلة داخل الوطن في هذه الفترة.

ومن أبرز الأعمال التي ظهرت في هذه الفترة نجد:

- ❖ "المراسيم والجنائز" لبشير مفتي.
- ❖ "تيميمون" لرشيد بوجدرة.
- ❖ "الورم" لمحمد ساري.
- ❖ "سيدة المقام" لواسيني الأعرج.
- ❖ "الشمعة والدهاليز" لطاهر وطار.

4-3-1- عنف الإرهاب:

يعد الإرهاب من أخطر الظواهر البشرية التي طالما هددت أمن وسلامة البلدان منذ القديم، يترك أشكالا متعددة وآثارا مدمرة على الأمن والاستقرار في العالم على مر العصور، إذ يعتمد على بث الخوف والفزع في نفوس الناس لتحقيق مآرب معينة، وقد اختلف الدارسون في وضع مفهوم شامل له، غير أن المفهوم الشائع أنه شكل من أشكال العنف السياسي تمارسه

1- لطيفة قرور، هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر وطار الشمعة والدهاليز، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009، ص 201.

جماعات أو أفراد ترفض الخضوع والامتثال لأوامر السلطة والقوانين، وتريد فرض أفكارها وآرائها بقوة.

كما يعرفه البعض بأنه:" عمل إجرامي يهدف بطبيعته إلى إثارة الخوف والرعب موجه لأشخاص معينين، أو مجموعة من الأشخاص على العموم".[1]

يعرفه كذلك الأستاذ الدكتور نبيل حلمي على أنه:" الاستخدام غير المشروع للعنف أو التهديد به بواسطة فرد أو مجموعة دولة ضد فرد أو جماعة أو دولة ينتج عنه رعب يعرض للخطر أرواحا بشرية أو يهدد حريات أساسية ويكون الغرض منه الضغط على الجماعة أو الدولة لكي تتغير سلوكها اتجاه مجموعة ما".[2]

وفي تعريف آخر "فالإرهاب عدوا مجهول لا تعلم متى وأين وكيف يظهر ولماذا وأين يوجه ضرباته القاسية"[3]أي أنه تهديد غير قابل للتوقع أو السيطرة عليه بشكل كامل ومن الصعب التنبؤ بالمكان الذي سيستهدفه مما يزيد من فوضوية تأثيراته.

والجزائر واحدة من الدول التي عانت من الإرهاب، حيث لا يمكن تجاهل ومحو حقيقة أنها عانت من ويلاته في السنوات الماضية خاصة في المرحلة الممتدة من (1992 إلى 2002). فقد دخلت الجزائر في أزمة أطلق عليها بالعشرية السوداء التي كانت حقبة مظلمة ومأساوية خلفت أثرا عميقا في حياة كل الجزائريين الذين عاشوا وشهدوا الإرهاب المسلح وعملياته الدموية وما خلفه من دمار شامل والأضرار المادية والخسائر البشرية فضلا عن تفاقم الأوضاع المعيشية في البلاد، ففي تسعينات القرن الماضي عاشت الجزائر فترة من الاضطرابات الشديدة، حيث نفذت تنظيمات مسلحة غير رسمية، مرتبطة بالفكر الإسلامي المتطرف، سلسلة من

1- الزبير العروسي، دور مؤسسات المدني في التصدي للإرهاب "العنف من منظور علم النفس السياسي"، مركز دراسات البحوث، قسم اللقاءات العلمية، ص 23.

2- أنظر، د. حلمي نبيل أحمد، الإرهاب الدولي وفقا لقواعد القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، ب ت، ص 27.

3- إبراهيم الحيدري، سوسيولوجي العنف والإرهاب، دار الساقي، بيروت، 2015، ص 9.

الأعمال الإرهابية التي استهدفت جميع فئات المجتمع دون استثناء، كما تسعى الجماعات الإرهابية إلى استغلال تدمير الهوية الثقافية لشباب الجزائر وتشويش مفاهيمهم تحت ستار الدعوة الدينية، معتقدة أن ذلك يسهل لهم الوصول إلى السلطة.

في هذا السياق يتم التركيز بشكل خاص على الفئة المثقفة، إذ يرون فيها تهديدا لمخططاتها، وبالتالي تركز إستراتجيتها على تعطيل الفكر النقدي في المجتمع وإضعاف وعيهم بهدف خلق حالة من الجمود العقلي والانفصال عن قضايا الوطن، مما يؤدي إلى غياب الاهتمام بالأحداث الجارية في البلاد، وها ما نقلته لنا رواية "الأزمة" التي جسدت بعمق واقع الشعب الجزائري خلال تلك الفترة الدموية السوداء، حاملة بين سطورها معاني القتل والاغتيال، ومجسدة الأوضاع المعيشية القاسية التي خلفها العنف الإرهابي، وقد عبرت الرواية عن تجارب متنوعة للكتاب الذين نقلوا ببلاغة رؤاهم حول هذه المحطة القاسية وما شهدته من معاناة إنسانية مدمرة ومن بين هذه الروايات نجد:

- ❖ رواية "سادة المصير" ل "سفيان زدادقة".
- ❖ رواية "فوضى الحواس" ل "أحلام مستغانمي".
- ❖ رواية "وطن من زجاج" ل "ياسمينة صالح".
- ❖ رواية "فتوى زمن الموت" ل "إبراهيم سعدي".

وبالتالي فرواية المحنة الجزائرية استطاعت أن ترصد جراحات الوطن والذات فعبرت عن مشاعر الرعب والخوف وتجارب الإغراب والمنفى كنتيجة حتمية في مواجهة الإرهاب الذي عانت منه الجزائر.

4-3-2-عنف السلطة:

يعتبر العنف سلوكا فعليا أو قوليا، يتضمن استخداما للقوة أو التهديد باستخدامها لإيذاء الآخرين أو تخريب الممتلكات لتحقيق منافع وأهداف ذاتية وقد تجلى عنف السلطة في ظاهرة

عالمية تعرفها المجتمعات كافة بأشكال وصور متعددة وإنه استخدام القوة المادية أو التهديد باستخدامها لتحقيق أهداف سياسية.[1]

ويعتبر مثل هذا الفعل تمردا على الأوضاع السياسية، الاجتماعية السائدة في المجتمع كالحصول على المناصب بطرق عنيفة غير قانونية مثل القيام بمظاهرات وإضرابات قصد تغير النظام السائد في البلاد، وقد يمثل هذا العنف فإنه المحرك الأساسي الذي تستعمله السلطة لفرض القوة والهيمنة على الشعب قصد إطاحته وخضوعه لها وبالتالي سيطرة الدولة والسلطة عليها وقد شاع منذ القدم أن من يملك السلطة يملك حق التصرف في أرواح وممتلكات الآخرين، إذن تقوم الدولة على علاقة سيطرة يمارسها الإنسان على الإنسان وهي سيطرة تقوم على أساس استعمال العنف المشروع.[2]

إذا تمثل أي نظام سياسي والقوى التي يعبر عنها والاستمرار في الحكم وإذا فمثل النظام في تحقيق الاستمرار عن طريق تدعيم أسس ومصادر شرعية وتطوير ذاته ومؤسساته وسياسته لتتمكن من استيعاب القوى الجديدة الراغبة في مشاركة في السلطة والحصول على نصيب أكبر من الثروة والنفوذ إذا فشل في تحقيق ذلك فإنه غالبا من يلجأ إلى استخدام القوة لضرب القوى التي تمثل تحديا له وتحجيما".[3]

بمعنى أن أهداف العنف والقوى المستعملة في النظام السياسي تسعى دائما إلى السيطرة على السلطة وديمومة الحكم واستمراره في تحقيق مشروعيته في كافة الممارسات.

4-3-3- العنف الاجتماعي:

العنف هو من أحد أهم الأسباب المدمرة لحياة الإنسان النفسية والجسدية والعنف الاجتماعي كأحد أنواع العنف ليس مجرد مشكلة فردية منوطة بفرد واحد، بل هو تحدي

1- حسين توفيق إبراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، بيروت، 1999، ص 48.

2- محمد بهاوي، الفلسفة لتلاميذ البكالوريا، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 2، 2012، ص 147.

3- حسين توفيق إبراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، ص 50.

اجتماعي يؤثر على الكثير من الأشخاص ويستهدف بشكل كبير النساء والأطفال بغض النظر على تأثيره على الرجال أيضا، وهو نتيجة للنمط المعيشي والثقافي.

وهكذا نرى أن العنف الاجتماعي صار ظاهرة متداولة ضمن محكى الرواية الجزائرية تكشف انعكاسا للواقع الذي نعيش فيه وخاصة العشرية السوداء أين كان المجتمع يتخبط في أزمة تولدت عنها الكثير من الآفات الاجتماعية، "فليس العنف بالمعنى الاجتماعي هو مجموع الأفعال الصادرة عن الأفراد في مجتمع ما بل إنه الفعل الصادر عن نسق أو مجموعة أنساق في مجتمع ما، فالقتل مثلا كفعل اجتماعي لا يعني مجموع أفعال القتل التي يقوم بها الأفراد في مجتمع ما، مهما كان عدد أفعال القتل كبيرا، ومهما امتدت في الزمان والمكان، بل إنه يعني الفعل الذي يقوم به نسق اجتماعي قائم بذاته في مجتمع ما، خلال مجال زماني ومكاني معين مهما كان محدودا".[1]

فالعنف الاجتماعي هو استخدام القوة بصورة غير مشروعة منافية للأخلاق والقانون ترفضها طبيعة المجتمع، فتنشأ علاقات عدائية في الوسط الواحد بين أفراده حيث يكون اللاوعي الجمعي أو الفردي على حد سواء مساهما في ولادة العنف الناتج من ترسبات تاريخية وأخلاقية واجتماعية، فقد كشفت الرواية أساليب العنف وممارسته بأشكاله المختلفة حيث صور الروائي عنف الإرهاب بصورة جد مرعبة "وكثيرا ما نجد استعمال مفهوم العنف في المجتمع اصطلاحيا بالإرهاب".[2]

ففي رواية "الورم" لمحمد ساري، تمثل العنف بحرق مبنى البلدية وقتل رئيسها بعد مشادات بين الدرك والإرهابيين بالإضافة إلى رواية أخرى جسدت هذا النوع من العنف منها رواية الطاهر وطار الشمعة والدهاليز أين تعاطت مع العنف ومظاهره حيث يدخل القارئ في دهاليز متعددة

1- عبد الحق بحيطنة، مفهوم العنف الاجتماعي في البحوث السوسيولوجية بين الطرح العلمي والطرح الإيديولوجي "قراءة ابتسيولوجية" المجلة العلمية لجامعة الجزائر 3- المجلد 6، العدد 14، جانفي 2018، ص 142.

2- المرجع نفسه، ص 146.

وتساؤلات عديدة، رواية تيميمون لرشيد بوجدرة أين صورت الواقع المرير الذي عاشته الجزائر إبان العشرية السوداء.

رواية سيدة المقام لواسيني الأعرج أين تصور معاناة المرأة في مجتمع ذكوري يأبي التحضر، والتقدم للمرأة، رغم هذا فهي صامدة رغم المعاناة.

4-4- المثقف:

يعتبر مصطلح الثقافة من المصطلحات الأكثر استخداما وشيوعا بين الباحثين والمفكرين فهي مرآة المجتمع والعاكسة للتفاعل الاجتماعي والثقافي والسياسي. وغيره بين الأفراد داخل المجتمع وهو مصطلح زئبقي تتعدد مصادره ومكوناته وكذلك تعريفاته. فالثقافة تعد عاملا هاما في تصنيف الشعوب والمجتمعات وتميزها عن بعضها البعض، وذلك لما تحمله من خصائص ودلالات ذات أبعاد مختلفة فهي منظومة متكاملة "إن الثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته، وهي التي تجعل منه كائن يتميز بالإنسانية المتمثلة في العقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي، وعن طريقها تهتدي إلى القيم وتمارس الاختيار، وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه، والتعرف على ذاته كمشروع غير مكتمل وإعادة النظر في إنجازاته والبحث دون ثوان عن مدلولات جديدة وإيداع أعمال يتفوق فيها على نفسه".[1]

يشير هذا التعريف إلى أن الثقافة تلقى دورا مهما في تحديد هوية الشعوب والمجتمعات بحيث تميز كل مجتمع عن الآخر، فهي شبكة مترابطة من الأفكار والممارسات التي تؤثر في كل الجوانب.

بناء على هذا يمكن للنمط الثقافي السائد أن يؤثر على سمات الشخصية الإنسانية، حيث قد يساهم في حدوث اضطرابات نفسية أو تعزيز الاستقرار والتوازن النفسي وفقا لكيفية تفاعل

1- محمد الرميحي:" واقع الثقافة ومستقبلها"... في الثقافة والمثقف في الوطن العربي، الوثائق الرئيسية لإعلان مكسيكو بشأن الثقافة، مكسيكو، 26 تموز 1982 م، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، 1992 م، ص 267، 284.

الفرد مع بيئته الاجتماعية أو الثقافية وعليه فإن المثقف هو الشخص الذي يمتلك القدرة على فهم وتحليل مفاهيم الثقافة واستخدامها بفعالية في الحياة اليومية.

إن دور المثقف لا يقتصر فقط على المعرفة في مواقف حياتية، ويشمل ذلك فهم الأدب والفلسفة... والمفاهيم الاجتماعية والسياسية، ببساطة المثقف هو شخص يملك وعيا واسعا بعناصر الثقافة المتنوعة ويفهم لتأثرها في تشكيل المجتمع والعالم.

ويعرف المثقف بأنه "فرد يتمتع بموهبة خاصة تمكنه من حمل رسالة، أو تمثيل وجهة نظر، أو موقف أو فلسفة، أو رأي يجسد ذلك، والإفصاح عنه إلى مجتمع وتمثيل ذلك باسم هذا المجتمع"[1]، كما يعرفه عبد السلام المسدي: إذ يقول:" المثقف هو الذي من خلال إقراره بشرعية السلطة يحترق النقد، ليبني الصراع الثقافي الذي لا يقدر الخطاب السياسي السائدة أن يشيده"[2] فالمثقف هو من يتحمل مسؤولية كشف تجاوزات السلطة وتنفيذ ممارستها، فهو العين الساهرة التي لا تسكت أمام الظلم، ويستخدم فكره وكلماته للكشف وتعرية الفساد وتعزيز الوعي وبالتالي يكون هو الجسر بين السلطة والشعب في مواجهة الحقيقة وتوضيح ما تخفيه الإيديولوجيات السائدة في المجتمع وبالتالي فهو لا يرفض السلطة بشكل مطلق لكنه لا يرضى في نفس الوقت بما يحدث له ولمجتمعه.

إن المثقف هو لسان حال مجتمعه ومواكب لعصره وله نظرة شاملة في مجتمعه وثقافته فهو صاحب رسالة يبحث عن كشف الحقيقة ويكون شجاعا في الدفاع عنها "إذا تشرب المثقف بمغذيات ثقافته الاجتماعية يغدو عندئذ مثقفا صاحب تقاليد وصاحب ثقة عالية بنفسه لأنها منبثقة من ضمير مجتمعه وعصب ثقافته المجتمعية".[3]

وقد اهتمت رواية الأزمة بالمثقف وما مر به في الفترة الأولى من توتر وضغط من خلال تصوير معاناته، إذ كان الضحية في تلك الفترة خاصة من طرف الإرهاب لكنه بقي صامدا

1- عبد الرحمان بن زيد الزيندي، المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية، ص 33-34.

2- هويدا صالح، صورة المثقف في الرواية الجديدة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013، ط 1، ص 38.

3- معن خليل العمر، علم اجتماع المثقفين، دار الشروق للنشر والتوزيع، دط، عمان، 2009، ص 343.

ومتمسكا بمبدئه كمثقف وتحمل عواقب ذلك، حيث أن هناك من المثقفين من قرر الرحيل والهجرة وترك بلده وأهله بحثا عن الأمن والحرية، وهناك من تمسك بوطنه وحارب السلطة والسبب في كل ذلك أن السلطة والجماعات الإرهابية على حد سواء، حيث اعتبر وجوده وتفكيره المستقل تهديدا كبيرا لمصالحهم وسلطتهم، ففي نظرهم يشكل المثقف خطرا حقيقيا على استقرار الأنظمة القائمة، سواء أكانت سياسية أو دينية، فكانت السلطة تتعامل معه كعدو لأنها تعتبر أفكاره وتشخصيه للأوضاع الاجتماعية والسياسية مصدرا للاحتجاج والتغيير والتمرد وكلها عوامل تزعزع كيان السلطة واستمرارها.

أما الجماعات الإرهابية فاعتبرت المثقف تهديدا لمفاهيمها المتطرفة، حيث يخالفها في رؤيتها للأمور ويتحدى فكرها المتشدد انطلاقا من رؤيته التنويرية اتجاه الأفراد في المجتمع، ونتيجة لذلك فقد تعرض لمختلف أنواع التعذيب والعنف والقتل لإسكاته، وتدمير دوره الحيوي في المجتمع ومع ذلك ظل في صموده وكان رمزا للمقاومة الفكرية ضد القمع والإرهاب والسلطة، وبالتالي فرواية المحنة قد أعطت بالفعل صورة عن واقع المثقف خلال هذه الفترة معبرة بذلك عن أعماله ودوره في تحليل مختلف القضايا، كما صورت بعض الروايات محنة المثقف بوصفها محنة فكرية كانت السبب المباشر في شقائه ومعاناته ومأساته.

5- تجليات الإديولوجيا في رواية الأزمة:

5-1- إيديولوجيا السلطة:

تعتبر السلطة الحق الذي يمنح لأحد الأشخاص في أن يلزم شخص آخر أو أكثر على أداء أعمال معينة يطلبها أو يحددها له، فهي صفة أساسية في التنظيم، بحيث لا يوجد أي تنظيم بدونها، والسلطة تعني استخدام القوة بشكل مشروع ومعترف به في المجتمع، وكما هو معروف أن السلطة وجدت في أصلها لتكون أداة أو وسيلة لخدمة الشعب تسعى إلى تحقيق المصالح العامة وتلبية احتياجات المواطنين متحملة بذلك مسؤولياتها وأداء واجباتها المشروعة.

غير أن هذا المفهوم لم يكن حاضرا في الواقع إذ شهدت الجزائر في العشرية السوداء تحولا واضحا في دورها، إذ انتقلت من كونها أداة لخدمة الشعب إلى وسيلة لممارسة القمع وفرض السيطرة وذلك في ظل الظروف التي اتسمت بالعنف السياسي والاضطراب الأمني، حيث كانت السلطة عدوة لأفراد المجتمع وللمعارضة أيضا تضع لهم قوانين صارمة وتفرض عليهم ممارستها وتعاقبهم إن تمت معارضتها بمختلف الوسائل القمعية.

كما أن السلطة في هذه الفترة كانت غير مشروعة لاستخدامها للإجبار والإكراه والعنف في تعاملها، حيث صورت كتابات الأزمة هذه المشاهدة التي عانى منها الشعب الجزائري في هذه الحقبة "تأمل الروائي السلطة في هذه الفترة وفي الفترات التي سبقتها منذ الاستقلال فوجدها رمزا للعنف وتشجيعا له"[1]، أي أن الروائي لاحظ أن السلطة لم تكن أداة للعدل والتنمية سواءا في فترة العشرية السوداء أو منذ الاستقلال بل كانت رمزا للعنف تمارسه باستخدام القوة، ويرى أن السلطة لم تستغل الاستقلال لتحسين حياة الناس بل مارست العنف وأفسدت المجتمع وشوهت القيم، كما نقل الروائي صور التعذيب الذي لحقه من طرف السلطة وصور السلطة السياسية كونها كيان قمعي يستخدم العنف والتعذيب والاعتقال لقمع المعارضين، حيث يقول "عبد الله عيسى لحيلح" في رواية "كراف الخطايا" احذروا السياسة فقد شوهت كل شيء... إنما سوس المبادئ والقيم"[2] يقصد بهذا أن السياسة أصبحت سوسا ينخر في جذع المبادئ والقيم فتتآكل الثقة وتبهت المثل العليا وبهذا باتت السياسة عند .... مرادفا للتحايل بدلا من الحوكمة.

بالإضافة إلى ذلك شكك العديد من الروائيين في شرعية السلطة، خاصة بعد إلغاء نتائج الانتخابات في عام 1991، مما أدى إلى اندلاع موجة من العنف. كما أن السلطة تمارس رقابة مشددة في حرية التعبير، مما يعرقل عمل الكتاب والإعلام. وفي هذا السياق أصبحت الرواية شكلا من أشكال المقاومة الثقافية، وأداة للتعبير عن الممنوعات والمسكوت عنه في المجتمع، وفي هذا السياق برز دور الروائيين في فضح الخفايا، من خلال تسليط

1- شريف حبيلة، الرواية والعنف، ص 165-166.

2- عبد الله عيسى لحيلح، كراف الخطايا، ط 1، 2002 م، ص 201.

الضوء على العلاقة الخفية بين السلطة السياسية والإرهاب، وأن كل ما نتج بعد ذلك من فساد سياسي راجع إلى "سوء استخدام السلطة أو النفوذ العام بهدف الانحراف عن غايته، وذلك لتحقيق المصالح الخاصة أو الذاتية بطريقة غير شرعية ودون وجه حق"[1] وهذا ما كان حاضرا في رواية العشرية السوداء.

5-2- إيديولوجيا المعارضة (التيار الديني):

تبلورت هذه الاديولوجيا بفعل تأثير الإسلاميين على الشعب باعتباره متعلق ومرتبط بدينه ارتباطا دينيا، مرتبط بالفطرة "وهكذا قدمت الإسلاموية نفسها باعتبارها إيديولوجيا قادرة على أن تمثل ما يمكن اعتباره البنية النظرية الفوقية للمجتمع من ناحية، وحاملة لواء الهوية الإسلامية الأصلية من ناحية أخرى، فهي الإيديولوجية التي تنشق منها المعارف والعلوم الضرورية للمجتمع والتي تمثل البديل من خلال أطروحة الحل الإسلاموي"[2].

الإسلام بمفهومه عند الحركات الإسلاموية أو التيارات الإسلامية له مفهومه الخاص، كان نتاج صراعات سياسية وثقافية واقتصادية واجتماعية.

"يعتبر المنتسبون للإسلام السياسي أن نظام الدولة هو جزء لا يتجزأ من الإسلام".[3]

وبالحديث عن التيار الإسلاموي أو الديني في الجزائر فهي حالة خاصة وشاذة في المجتمع العربي أين حاول التيار الإسلاموي فرض هيمنته على السلطة والشعب محتديا بذلك بالشعوب العربية أين خلق جوا من التوتر وهنا نتحدث عن العشرية السوداء ومخلفاتها.

فالدين هو أحد العناصر الرئيسية التي تم استخدامها لتبرير العنف وسرعان ما تحول الدين من سلاح نفسي وفكري إلى سلاح جسدي، حيث عرفت الجزائر خلال العشرية السوداء فترة دموية خلفت جروحا عميقة في الذاكرة الجماعية، وقد شكلت هذه المرحلة فضاء رحب للأدب الجزائري، خاصة الرواية وذلك لتوثيق المآسي وفضح الإيديولوجيات التي اختبأت حول

1- مصطفى عبد الغني، قضايا الرواية العربية، الدار المرية اللبنانية، القاهرة، ط 1، 1991 م، ص 113.

2- فريد بن بلقاسم، الإسلاموية تحديدا إيديولوجيا وخطرا تنظيميا، 22 ديسمبر 2021، 51:15.

3- مولاي عبد الصمد صابر، تحرير الإسلام من الإيديولوجيا، 5 أبريل 2023، 04: 16.

عبادة الدين، بالنسبة لذلك حول الكثير من الروائيون الدين كعنصر محوري في أعمالهم الكتابية.

إذ أن رواية المحنة صورت ما مارسته هذه الجماعات من جرائم: ذبح وتعنيف واغتصاب وإبادة، مستهدفة المدنيين والنساء والمثقفين، وكل من خالف رؤيتها المتشددة، وفي كل هذه الأفعال تم استخدام الدين كغطاء شرعي لإخفاء أعمالهم بحيث كانت أهداف هذه الجماعات الوصول للسلطة والحكم.

كما ثمة بعض الجماعات تمارس العنف تحت ذريعة الدين:" حيث ساد العنف حينما اعتقد الناس أن آراء الرجال عقائد يقاتل المرء من أجلها ويستشهد في سبيل الدفاع عنها ونشرها"[1]،فظهرت هذه الجماعات المتطرفة والمتشددة دينيا، إذ وصلت إلى ذروة تعصبها، وأصبحت تقاتل وتعمد إلى قتل كل من يعارضها في المذهب أو الرأي، فلم يقتصر فعلها على سفك الدماء، بل تعدى ذلك إلى تدمير وتخريب الممتلكات والمنشآت وذلك للتأثير إلى المنظومة الدينية للامتثال لأعرافها ومذاهبها الخاصة.

كما أن الشخص المتعصب يعاني غالبا من ثقة مفرطة بأفكاره ومعتقداته ويعتبرها هي الصحيحة، ويفترض أن أي رأي مخالف لذلك يعتبر خطرا ويعامل الآخرين الذين يرون أنهم يحملون آراء مختلفة عنه وكأنهم أعداء يستحقون الإهانة أو التعذيب، وغالبا ما يميل إلى استعمال الدين لتبرير هذا التصرف.

5-3- إيديولوجيا المثقف:

خضع المثقف للكثير من الصعوبات والآلام والمعاناة خلال المحنة، فنقلت لنا روايات الأزمة التهميش والعنف وغيرها من صور المعاناة التي عاشها المثقف، وقد كشفت لنا رواية العشرية السوداء أنواع من المثقفين بين متمرد وحيادي ومناهض.

1- علي بن مبارك، العنف الديني، الدلالات والخلفيات، 7 مارس 2016.

5-3-1- المثقف المتمرد (الثوري):

هو الذي يتمسك ويقف مدافعا عن مبادئه وقيمه، ويعمل جاهدا لتغيير واقع مليء بالظلم والطغيان والاستبداد يهدف النهوض بالمجتمع لتحسين أوضاعه "يرى أن التغيير داخل المجتمع يمكن من خلال ثورة، ولا بديل عن الثورة لتحقيق هذا التغيير المنشود، ولا يوجد أي مخرج من حالة الظلم والاضطهاد السائدة في المجتمع إلا من خلال الخروج عن النظام"[1]، فهو دائما يكون في مواجهة مع السلطة التي تحاول إلغاء دوره في المجتمع حفاظا على مصالحها وأهدافها.

و"المثقف الثوري الذي لا ينعم بثقافته إلا إذا استخدمها أداة لتغيير الحياة من حوله (...) هو من أدرك مثلا جديدة للحياة الإنسانية ثم لم يقف عند مجرد الإدراك بل حاول تغيير الحياة وفق ما أدركه"[2]، وهذا النوع من المثقف هو من يحاول تغيير واقع وحياة مجتمعه، بما قد أدركه وعرفه وفهمه وهذا المثقف هو المعارض والضدي الذي يرفض أي علاقة تربطه بالسلطة ويرفض التعامل معها، فهو يناقض السلطة بصراحة وبشدة ويعارض قراراتها، وبالتالي فإن السلطة تعتبره عدوها اللدود، إذ يشكل خطرا عليها كونه يسعى إلى نشر الوعي والثقافة وسط الجماهير وتنوير العقل ويكشف خباياها ونواياها. "ومنه تكون علاقة السلطة بالمثقف غالبا محفوفة بالمخاطر وخاصة إذا صدرت عن تصور يرى أن المثقف ينظم في علاقة توتر مزمنة مع السلطة، لأن هذا التصور يقوم على علاقة ضدية"[3]، إذن يعد المثقف الثوري ذا موقف إيجابي إزاء قضايا مجتمعه وهموم شعبه.

1- فادي علان علي جمعة، دور المثقف في ثورات الربيع العربي وعلاقته بالسلطة السياسية، مذكرة الماجستير في التخطيط والتنمية السياسية، جامعة النجاح الوطنية نابلس – فلسطين، 2015، ص 19.

2- مجموعة من المؤلفين، الأنتلجينسيا العربية، د د ر، د س، د ط.ص 35.

3- حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، د ط، د ت، ص 151.

5-3-2- المثقف السلبي (الحيادي):

هناك الكثير من المثقفين ممن اختاروا الصمت وعدم مواجهة الواقع، والهروب من السلطة وبذلك يبتعدون عن قضايا المجتمع وهمومه، وينغمسون في حياتهم الخاصة، فهذا النوع غالبا ما يكون متراجعا في الدفاع عن أهدافه وتصوراته أمام السلطة "ذلك المثقف الذي يرفض الانسجام مع المجتمع، ولا يعتني بقضاياه، ولا يهتم بتغيره، فهو ينتقد ويسخر من أجل السخرية، وليس من أجل تغيير المفاهيم الخاطئة التي تشيع في المجتمع ولا يرضى عنها، هو فقط رافض من أجل الرفض، يشعر بالعدمية واللاتحقيق ولا يفي بقضاياه الشخصية والمجتمعية"[1] أي أن هذا المثقف لا يستغل ثقافته ومعرفته في تحسين أوضاع أمته وهذا النوع سماه البعض بالمثقف الهروبي والمتراجع. "وهو في العادة رجل حزين إن المثقف السياسي الذي يضم أذنيه عن المظالم لإيمانه بأن "العين لا تقاوم المحرر" وبأن الأنظمة جميعها لا تستحق إلا الكره أو الرثاء يهرب من الوجع الجسدي"[2]، ومنه فإن هذا النمط من المثقفين يكتفون بالمشاهدة دون تحريك ساكن مبتعدا بذلك عن نشر أفكاره وترسيخ معالم الثقافة، قد يعود ذلك إلى وجود قوى خارجية تحاول إخفاء دوره بتهديده بالقتل أو السجن وبالتالي يصبح مجرد إنسان منفرد ومعزول. بعيدا عن انشغالات مجتمعه، وقد ظهر هذا النوع من المثقف في رواية المحنة ضمن رواية "بخور السراب" "لبشير مفتي" ورواية "وادي الظلام" "لعبد الملك مرتاض".

5-3-3- المثقف المناهض:

أما المثقف الذي يناصر ويدعم السلطة القائمة أو النظام السياسي القائم فإنه مناهض مروج للسلطة ولمواقفها، متجاهلا بذلك إن كانت السلطة عادلة أو ظالمة، أي أنه يتماشى بنهج الحكومة الذي يخدم السلطة ويخدم مصالحها وخططها، وكذلك من المثقفين من التحق

1- هويدا صالح، صورة المثقف في الرواية الجديدة، ص 70.

2- سماح إدريس، المثقف العربي والسلطة، بحث في روايات التجربة الناصرية، ص 138.

بحزب معين أين يحاول استغلال معرفته وثقافته في دعم مبادئ وقيم ذلك الحزب خدمة للأهداف السياسية التي ينتمي إليها ذلك الحزب

"إن الانتساب إلى حزب سياسي أو اجتماعي هو حق مدني لكل مواطن، وبالتالي فإن المشاركة في حزب المبنية على قناعة وعقيدة، لا تفقد المثقف مصداقيته، وإن كانت تؤثر على وظيفته النقدية، وعلى كونه ضمير الجماعة (...) لا ضمير وصوت فئة منها أو حزب (...) فإن المثقف يعقد استقلالية كلمته وموقفه ويضطر إلى الاصطفاف مع حزبه"[1]، كما أن مثقف السلطة يكتب ما تريده السلطة أي أنه يبيع قلمه للعيش "فهو يستعمل عمله وأسلوبه بطريقة جدلية، والدفاع عن القرار والهجوم عن الخصم... وقد يستعمل طرق سوفسطائية قلب الحق باطلا والباطل حق ما دام الهدف هو إ قناع الناس"[2]، أي أن دوره هنا هو التلاعب بالحقيقة والكذب والتملق والتزييف.

1- سعاد حكيم، نمسته أنواع من المثقفين، ملحق الخليج الثقافي، جريدة الخليج 2013/01/14 www.alkhaleejae.

2- نفيسة الأحرش، كتاب امرأة عايشت الأزمة، منشورات جمعية المرأة، الجزائر، ص 41.

الفصل الثاني:

تجليات البعد الإيديولوجي وعلاقته بالنسق السردي في رواية "بيت من جماجم"

1- إيديولوجيا السلطة:

كانت العشرية السوداء منعطفا حاسما في تاريخ الجزائر ومسارها السياسي، ولم تكن الرواية الجزائرية ومثقفيها بعيدين عن هذه الأحداث الخطيرة التي عصفت بالمجتمع الجزائري، وفي رواية شهرزاد زاغر "بيت من جماجم" محاكاة للواقع بكل أشكاله وإيديولوجياته وعلى رأسها إيديولوجيا السلطة التي انبثقت نتيجة الصراع بين السلطة والجبهة الإسلامية للإنقاذ تحديدا فألقت بظلالها على النص.

تحاول الكاتبة من خلال شخصية البطلة سميرة الصحفية في الرواية البحث عن الحقيقة ،إذ لم تعد ترى في الوجوه السياسية إلا صورا كرتونية تعرض على الجرائد والشاشات التلفزية فكانت لحظة استيعاب الحقيقة أن رجال الحاكمين لم يعد لهم قوة ضبط الشارع أو الجانب المعارض.

لم يعد الشعب يثق في أقوال المسؤولين، الذين أصبح آخر همهم الظهور أمام الشعب بصورة جيدة عبر شعارات وخطابات مفزعة، تهدف إلى الترغيب مرة والترهيب مرة أخرى وكل ذلك من أجل الوصول إلى السلطة وأي سلطة في ظل هذا التخبط بين أشلاء الشعب ذهب العديد "من المحللين إلى أن المحرك الأول للحرب الدموية التي شهدتها الجزائر في سنوات التسعينات هي الصراع على السلطة السياسية، فبعد أن سقطت كل الأقنعة الإيديولوجية انخرط كل من الجيش والإسلاميين في تجابه مسلح محوره السلطة".[1]

والسلطة بكل ما تحمله من تمثلات عبر مؤسساتها ومسؤولياتها كانت وعلى مر العصور وعبر التاريخ الإنساني سببا مباشرا في الصراع وسفك الدماء إذ لم يكن هناك طرف غالب بشكل قوي، فهذا التعبير من أجل كسب مكان في السيادة أصبح أمرا يؤرق كافة فئات

1- سامية إدريس، تمثيل الصراع الرمزي في الرواية الجزائرية دراسة في علم اجتماع النص الأدبي، منشورات ضفاف – منشورات الاختلاف، بيروت لبنان، ط 1، ص 89.

الشعب لهذا فالصحفية سميرة المتمردة تبحث عما وراء الوجوه السخيفة "لقد مللت الوجوه الكرنفالية، لم تعد لي طاقة لتصوير المزيد من هذه الوجوه، أعينهم الفارغة تضجرني".[1]

إن هذا الضجر يعود إلى تفاهة المواضيع التي ترسل من أجلها أم هناك ما يحفزها لتخطي هذا الهراء السياسي، فبقدر ما تبدو الأمور سطحية إلا أن هذه الوجوه الكرنفالية على حد تعبيرها هي الأخرى لها مفهومها الخاص حول السلطة والسياسة في كنف هذه التناقضات بين الفئات المجتمعية سميرة الصحفية عينة من العينات الرافضة للواقع، في هذه الصورة وهذا الحوار بينها وبين رئيس التحرير "أو لم تذهبي لتغطية زيارة الوزير... جاءنا فاكس بضرورة تغطية احتفال زاوية سيدي أعمر، لأنها ستكون تحت إشراف السيد الوزير".[2]

إن السبب الجوهري في إعراض سميرة عن تغطية زيارة الوزير إلى الزاوية أن هناك ما يستحق الكتابة عنه أكثر من تلك المواضيع السخيفة حول المهرجانات والاحتفالات السنوية التي تقيمها مؤسسات السلطة في ظل واقع تراق فيه الدماء بين اللحظة والأخرى، وبذلك تبدو سميرة نموذجا مناقضا ورافضا لهذا الواقع وتقول:" لقد تعثرت، وأنا في طريقي إليهم بعشرات الجثث" وأزكمتني رائحة الموت التي تملأ الشوارع" يمكنني جسد التعب الممدد على الرصيف من اجتياز الخط الفاصل بينه وبينهم".[3]

أمام تفاهة تلك المواضيع التي تصر سميرة على الإعراض عنها تبدو زيارات ممثلي السلطة، زيارات ملغمة إلى أبعد الحدود، الهدف منها تحذير الشعب وصده عن متابعة وضعه الأمني والثقافي والاكتفاء بمتابعة ما هو هامشي وعابر.

سميرة فما حقيقة هذه الجمجمة وما علاقتها بالسلطة والإرهاب الدموي؟

وكأن ما جرى في الجزائر في زمن الحقبة الدموية ما هو إلا امتداد في التاريخ لنزاعات السلطة ومن يملك من، وهنا نستحضر حسن الصباح وطائفته الإسماعيلية وفرقة

1- شهرزاد زاغر، بيت من جماجم، منشورات التبيين، الجاحظية، سلسلة الإبداع الأدبي، دط، الجزائر، 2000م، ص 12.

2- المصدر نفسه، ص 18.

3- المصدر نفسه، ص 19.

الحشاشين التي أبلت الكثير على النظام وملكهم وزرعت الخوف والفزع في قلوب الناس، إذ البحث عن كرسي في السلطة والبحث عن النفوذ يقود إلى الانقلاب في سبيل المصالح الفردية، هنا في روايتنا نجد الكثير من أمثال حسن الصباح والحشاشين.

لقد أصبحت البلاد حظيرة كبيرة القوي يأكل الضعيف التكتلات السياسية كل تكتل له آراؤه من جهة والإرهاب له رأيه الآخر من جهة، والمواطن البسيط بين كل هذا وذاك.

فالرواية هنا تصور هذا الواقع وحال الوطن والسلطة في البلاد التي لم يعد الشعب يثق بها "الجمهورية... سقطت في لعبة التفرج على الجسور فتمرد الجند عليها".[1]

وغيرها من عناوين الجرائد التي تبقى سميرة سارحة في عناوينها، وما شد انتباهها أكثر "آخر خبر... حديث الساعة، الجهات العليا في غليان... استقالة الحكومة... ما الذي يحدث".[2]

كل هذا الغليان هو نتيجة حتمية للغليان في الجبهة المقابلة، إذ لم تستطيع الحكومات المتتالية من فرض النظام والتحكم في الواقع كيف لا وكل يدلوا في دلوه كيف لا والحكومة بحد ذاتها غير مستقرة "الإيديولوجيا ليست غاية السلطة بل وسيلتها وأداتها، فلا تعرف الإيديولوجيا إلا بوظيفتها، فهي تستمد قوامها من طبيعة من يمارسون السلطة من جهة ومن طبيعة أهدافهم وغاياتهم الذاتية ومصالحهم الخاصة العمياء من جهة أخرى".[3]

تظهر المذيعة على التلفزة بصورة قلقة لتعلن عن خطاب الرئيس إلى الأمة، وقبل الخطاب أذاع التلفاز أنشودة "إخواني لا تنسوا الشهداء".[4]

1- شهرزاد زاغر، بيت من جماجم، ص 32.

2- المصدر نفسه، ص 33.

3- جاد الكريم الجباعي، قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة، مقال، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، https://www.mominoun.com/articles/3222-الإيديولوجيا-والعنف-والمؤسسات،22 أكتوبر 2015، 2025/04/28، 13:00.

4- شهرزاد زاغر، بيت من جماجم، ص 34.

ما يذيعه التلفاز ما هي إلا أوامر من الجهات العليا، فهذا الامتداد الوطني وهذه الأناشيد الوطنية ما هي إلا أوامر عن وحدة الوطن وتكاثف أبناءه حول هذه القضية الصعبة، لا تنسوا إخوانكم الشهداء فالشهداء الذين ضحوا في سبيل القضية الوطنية ضد فرنسا الاستعمارية هم اليوم شهداء في سبيل الوطن ضد الإرهاب، على الجميع استيعاب حجم القضية.

إن الصحفية سميرة في المونولوجالداخلي تستقر ما يجري بين سطور السلطة هل الأمر يتعلق بالجمجمة الموجودة في بيتها أم بإعلان استقالة الحكومة، تتخابط الأفكار وتتوالى ربما هي المكافأة لمن وجد الجمجمة هاهو الرئيس تبدو عليه علامات الغضب التي يحاول أن يواريها، يتوجه إلى الأمة بخطاب يدعوا أبناء الوطن إلى التمسك بوطنهم وعدم الانصياع وراء من يحاول تشويه سمعة البلاد يدعوهم إلى الاتحاد والالتفاف حول الوطن الضائع...؟ الجمجمة ؟ التي يحاول الجميع إيجادهما يدعوهم الرئيس إلى حمايتهما الآن استهدافهما هو استهداف للأمة، هو استهداف للتاريخ".[1]

هكذا تبدو جمجمة الأمير وكأنها الوطن الضائع الذي وجدت فيه الساردة الملاذ للهروب من الواقع، وأي واقع هذا الذي تتصارع فيه أطراف على حساب أطراف وإيديولوجيا على حساب إيديولوجيات والمتضرر الوحيد هو أبناء الشعب الجزائري الذي لم يعرف الأمان في وطن قدم الثمين والرخيص في سبيل الحرية، ولن يعرف الأمان في هذه الصراعات حول السلطة، فالأمير البطل في نظر سميرة هو المخلص.

لهذا البلد وفي الجمجمة حياة أخرى حتى وإن كانت بلا حياة ولا سيادة فهي في أعين السلطة والإرهاب على حد سواء كنز قومي ثمين، كيف لا والقنوات التلفزية والجرائد وكل وسائل التواصل، تبحث عن هذه الجمجمة التي تحتويها سميرة داخل بيتها، بل صارت تحتويها في صدرها أين باتت تشعر بالأمان في ظل وجودها بدأت بطلتنا تغير من آرائها، وعلى إثر

1- شهرزاد زاعر، بيت من جماجم ، ص 35.

اكتمال الوعي بضرورة التغيير والانقلاب على النظام السائد وهنا تخاطب رئيس التحرير – السلطة – تخاطبه بصوت الإنسانية تعزز الثقة في نفسها، تغير جذري في منحى السرد تتضارب الأفكار في رأس سميرة كما تتلهف الجهات المعنية من جرائد ودرك وأمن قومي وحتى الإنتربول في معرفة مكان الجمجمة في هذه المرحلة وفي هذا التوقيت الصعب تنتفض سميرة منتصرة في عناد صبياني أين ينتظرها رئيس التحرير في مقر جريدة الرأي العاملة بها على الرغم من عنفوانها إلا أنها خائفة من الوصول إلى الجمجمة تحفتها وصديقتها الغامضة.

رئيس التحرير يحاول تكثيف الجهود بين الصحفية للوصول إلى مكان الجمجمة "الحكومة الثانية على أهبة الاستقالة... لابد أن نساهم في توعية المواطن بضرورة تكثيف جهوده للبحث..."[1].

تقاطعه سميرة في معرفة منها بأن المراد هو الجمجمة، إذا فرئيس التحرير هذا كغيره من الباحثين عن الجمجمة لا عن الحقيقة، هنا لحظة إدراك بأن صديقتها وزميلتها حميدة لم تغادر الصحيفة هربا وخوفا وإنما الوضع الراهن استفزها ولم تعد قادرة عن التغاضي هذه الأخيرة التي زهدت الأخبار والصحف وما كان يجري في الجزائر.

سميرة عرفتها بكل هذا، هذا الصراع السياسي وكل أبواق الصحافة تصول وتجول هنا وهناك مع استقالة الحكومة الثالثة "وهذه المرة اختاروا وزيرا جديدا وجديرا بوزارة الأمن الداخلي"[2].

الرواية تتعدى مناقشة سقوط حكومات وتعيين أخرى تسعى إلى تسليط الضوء على حقيقة ما يجري في الحكم والسلطة هل جمجمة الأمير بهذه الأهمية الكبرى؟، لتقال الحكومة الثالثة وتستفز الإنتربول والأمن القومي. هو الوطن يا سادة هو الحضن الحامي لكل مثقف يعي ضرورة حماية البلاد من الأوغاد والأوباش والأصوليين على الجميع أن يعرف مكانه ومهمته.

1- شهرزاد زاغر، بيت من جماجم، ص 37.

2- المصدر نفسه، ص 53.

سميرة الآن هي القاضي والمتهم والمحامي، إذا أرادوا الجمجمة عليهم بتنفيذ مطالبها هذه المطالب مطالب كل الشعب الجزائري فهي لسان حالة الأمة، الحلم بعالم جديد بجزائر بيضاء لا حمراء تفوح منها رائحة الخوف والموت هذا ما كانت ترجوه في قرارة نفسها أرادت أن تصيح بأعلى صوتها "إذا أردتم أن تستعيدوا الجمجمة فما هي مطالبي... أنا أشبه الآن أحد الكومندوس والجمجمة الرهينة الثمينة، لذا سأملي مطالبي...".[1]

إن الثقة التي سيطرت على سميرة جعلتها تحلم وتسرح في أحلامها أين الرئيس الذي تريد أن تكلمه وأين الحكومات الثلاث التي استقالت في سبيل الجمجمة وهي مع بطلتنا؟

إن جمجمة الأمير أمام عيني سميرة هي بمثابة السيد الرئيس الموعود وعلى عاتقها حمايته من بطش بني جلدته حتى وإن كانت جمجمة "يا أميري يا رجلي الأوحد... قل لهم إنك لم تمت خبرهم أنك مازلت واقفا تحرس الفيافي والجبال، والبحار والوديان، قل لهم إن بريق عينيك مازال يشعل أضواء المدينة".[2]

وتنتهي آخر فصول الرواية مع الموت المأساوي لسميرة وصديقتها حميدة في سبيل الجمجمة.

إن الإيديولوجيا السياسية حتى وإن لم تكن واضحة المعالم إلا أنها تتجلى من خلال كلام الشخصيات عن نفسها وحواراتها وتعليقاتها وسلوكاتها ضمن ما يقدمه السرد وهنا يبرز السياق الإيديولوجي الذي تحكمه إيديولوجيا السلطة مهيمنا إلى أبعد الحدود على محكي الرواية والشخصيات التي تحمل في طياتها وثناياها الوضع الراهن آنذاك في الوطن وتبعيات هذا الوضع على الحكومة التي لم تستطيع فرض سيطرتها وبسط نفوذها على البلاد.

1- شهرزاد زاعر، بيت من جماجم ، ص 53.

2- المصدر نفسه، ص 60.

2-إيديولوجيا المعارضة (التيار الديني):

شهدت الجزائر تغيرات في المسار السياسي بعد الانقلاب الذي قادته الجبهة الاسلامية للإنقاذ وكان له تأثيره على المجتمع أنذاك وهذا التأثير والتأثر نابع من الثقافة الدينية للمجتمع أين تضاربت الجبهات في فترة التسعينات أو ما يعرف بالعشرية السوداء، سنوات الدم والقتل والإرهاب.

وبذلك حاولت الرواية الجزائرية خلال هذه الفترة التي شهدت ظهور التطرف الديني كاتجاه إيديولوجي يعمد إلى استغلال الدين وإعادة تأويل النصوص الدينية لما يخدم المصالح السياسية التي تضمن الوصول إلى السلطة، وهذا النهج تبناه التيار الديني المعارض في الجزائر وقد أطلق عليه الجبهة الاسلامية للإنقاذ أو ما عرف اختصارا بالجماعات الاسلامية ومنه يمكن أن نتوقف عند مفهوم التطرف الديني بوصفه "تجاوز الحدود التي أحلها الله سبحانه وتعالى وشرعها وهو الإتيان بأراء فيها تشدد، ومغالات، وهذا التشدد ما أنزل الله به من سلطان ولم يقم عليه دليل، والتوسط هو المطلوب".[1]

تأسيسا على ذلك نحاول من خلال نموذجنا النصي رصد مختلف إيديولوجيا المعارضة التي تبناها التيار الديني المعارض على النحو الخاص.

وبما أن النص السردي قد لامس هذه المرحلة الحرجة، فإن بطلتنا تجد نفسها في قلب المأساة، مجسدة في شخصية سميرة، الصحفية التي توثق بعدسة كاميراتها مشاهد الخراب والدمار، تلك التي تتردد صحيفتها في نشرها خشية المضايقات، فالإرهاب لا يميز بين مثقف وإنسان بسيط.

لأي طرف "كان في عينيه لهبة من التوق إلى الحقيقة، فلم يكن يكف عن اللهمات وراءها غير عابئ بتحذيراتهم، وتهديداتهم".[2]

1- أنور محمد، الإسلام والمسيحية في مواجهة الإرهاب والتطرف – الحوار لا المواجهة، دار آية، ص 33.

2- شهرزاد زاغر، بيت من جماجم، ص 23.

تبدو الكاتبة رافضة لهذه الإديولوجية الإسلاموية ومناهضة لهما في الآن ذاته فصراع سميرة النفسي بين ما يفرض عليها وما تريد فرضه أدخلها في متاهات وحوارات داخلية.

فالجمجمة التي تحاول سميرة إخفاءها عن الجميع، جعلتها صديقتها وأنيستها وشبهت الوضع الراهن لجمجمتها العزيزة بأسطورة من الميثولوجيا الإغريقية دليلة وشمشون أو جمجمة يهوذا الأسخر يوطي خائن السيد المسيح، أو جمجمة النضيرة بنت الصيزن خائنة أبيها، كل هذه الاقتباسات لم تكن عبثا في الرواية وإنما هي تلميح صريح للخيانة الحاصلة في السلطة أو التيار المعارض والمستفيد الأكبر هو الطرف الثالث الطرف المخفي عن الأنظار الذي يقود القطار حسب إيديولوجياته، وما هو إلا امتداد للفكر الاستعماري الاستيطاني حيث "وعى الاستعمار جيدا خطورة الإسلام وأهميته في التكوين الهوياتي لشخصية الإنسان الجزائري مما جعله يلعب على الوتر الحساس، فبعد أن تغلب عسكريا على المقاومات الشعبية الأولى عمل على تجنيد الزوايا والطرفين لصالحه كضمانة على تدجين الثورات".[1]

فالدين هنا لم يكن أبدا كما نادى به أصحاب التيار الديني، وهذه الخيانات الثلاث المذكورة في الرواية، ليست سوى استمرار لسلسلة الخيانات، فكل خائن له دوافعه وأهدافه الخاصة "ألا يكون الإلتماع المنبعث من محجري هو إلتماع الخيانة الشرس"[2]، لكن سميرة لن تخون جمجمة الأمير، هذا الذي أصبح محبوبهما وسيدهما فهي تحس بالأمان بقربه أوبعبارة أخرى "الجمجمة".

لكن هل الساردة تتكلم عن الجمجمة بالمعنى الدقيق كجمجمة، أم تتكلم على تكالب الأطراف المتنازعة على الوطن وتقاسمه شبرا شبرا فهي ترى في الأمير الطرف الثالث بين المعارضة والسلطة، هذا الطرف الذي ترى فيه شمعة الأمل وتحميه بحياتها، لأن هذه

1- سامية إدريس، تمثيل الصراع الرمزي في الرواية الجزائرية، ص 75-76.

2- شهرزاد زاغر، بيت من جماجم، ص 25.

الاغتيالات باسم الدين تارة والسلطة تارة أخرى جعلت البلد وأبناءه تائهون، مصيرهم غير معروف لا يعرفون الطرف الصادق الذي يثقون به.

وحتى وإن كانت الجمجمة شيئا ماديا فهي في قلب سميرة بر الأمان المفقود والوطن الضائع الذي يحاول العودة على الرغم من المعوقات "الفارس المغتال يعود ليحارب أشباح الظلام"[1]، من هم أشباح الظلام هل هم القتلة، الإسلاميون أم الذين يتسابقون على السلطة، بل إن الأمر يتعدى هذا كله، هم الخونة القتلة تحت أسماء مستعارة تستدرج العقول وتغتصبها وتجعلها الهدف والمستهدف في نفس الوقت.

يدخل صوت المعارض في الفصول الأخيرة من الرواية وهم اثنين من الرجال لم يظهر عليهم ملامح الإرهاب أو ما شابه بل جاؤوا ليستفسروا عن سميرة الذين قالا لها بأنهما من الأمن، وأي أمن لقد اختلطت الأوراق ولم يعد يعرف من الجاني ومن المجني عليه من الحامي ومن القاتل، وهذان الرجلان "دخل رجلان فارغا الطول... كان أحدهما يسترق النظر إلى مختلف الزوايا في البيت في حين راح الآخر يسأل في قلق، من منكما سميرة".[2]

وهنا صوت السلطة وهي الجريدة، أصبحت في فم المدفع كيف لصحفتين أن يغادرها ويعودا إليها، ما هذا الارتياب، سميرة وصديقتها على حسب قول الرجلين المجهولين "أعتقد أنكما مهددتان، وواجبنا هو حمايتكما".[3]

امتلك سميرة الخوف والفزع وأدركت أنها هالكة لا محالة كيف لا وهذان الرجلان تبدو عليهما ملامح الريبة، ومع هذا حميدة وقفت بجانبها هذا لأنها على الرغم من معرفة مصيرهما النهائي الذي انتهى مع قدوم سيارة سوداء بها وجوه جديدة وغريبة، اقتداهما إلى مكان مجهول أين لفظا آخر أنفاسهما في سبيل صوت الحق.

1- شهرزاد زاعر، بيت من جماجم ، ص 49.

2- المصدر نفسه، ص 61.

3- المصدر نفسه، ص 62.

3- إيديولوجيا المثقف:

3-1- المثقف المتمرد:

تمثل الصحفية سميرة شخصية المثقف المتمرد، الذي يحاول كسر جدار الصمت ومواجهة الحقيقة المظلمة التي تحاك وتنسج في كواليس السلطة، والتيار المعارض سواء كان في الحكم أو في صفوف المعارضة، في زمن طغى فيه الإرهاب الدموي الذي تجرع طعمه كل الشعب الجزائري، فأصبحت الصحفية تبحث عن الحقيقة كما يبحث المواطن عن ملاذه وعن أمان ضاع بين ركام العنف.

وفي ظل هذا الواقع المأساوي، تغدو الكلمة الصادقة مقاومة حتى وإن كان الموت ثمنهما، تقول:" بأنها مع الحقيقة مع النشيج المتواصل المنبعث من البيوت من المقابر، مع هذه الأصوات المكبرة التي لم تجد غير التكبير كي تعلن عن إيمانها بقوة أعظم، ذلك هو الجحيم الذي أعيشه كل يوم، هنا وهناك...".[1]

تحاول الروائية من خلال هذا الطرح أن تجعل من هذه الشخصية تعبر عن صوت من أصوات المثقفين الواعين بالظروف، وعدم السكوت أو الانصياع لرغبات المتطرفين سواء السلطة أو التيار الديني المعارض الذي لا يعترف إلا بالعنف وسفك الدماء، الكل دمى تتمايل وفق نغم نوطاته من تأليف الخوف والرعب تارة وأخرى من تأليف اللامبالاة أو اصطناع اللامبالاة.

كما تمثل شخصية سميرة صورة المثقف الواعي أيضا بظروفه ففي حوارها مع صديقتها وزميلتها في السكن حميدة هذه الأخيرة التي تعشق النظام أين عادت سميرة لتجد الغرفة على غير عهدها تعمها الفوضى، من خلال حوارهما حول هذه الفوضى تحاول الكاتبة من خلال هذا السرد وضع القارئ في الصورة الصحيحة، كيف يكون النظام في الغرفة انعكاسا للنظام السائد في البلاد آنذاك، وأي نظام وأي سلطة، فالسلطة هي التي تفرض نظامها على الشعب،

1- شهرزاد زاعر، بيت من جماجم ، ص 4.

وبكيف يكون النظام والفوضى في مكان واحد وهذا ما كان يجري آنذاك في العشرية السوداء من فوضى، فالنظام والفوضى خطان متوازيان لا يليق بالأول أن يتماشى مع الثاني في رؤية واضحة "كنت أرغب التحرش بالنظام لم أعد أشتهي أن أكون أنا وأنت الناقضان، أليس غريبا أن تتقاسم الفوضى والنظام بيتا واحدا ؟".[1]

فإذا كانت سميرة وحميدة صحفيتان تتشاركان غرفة واحدة إحداهما منظمة بشكل كبير وأخرى همها هو الأخبار وما يدور من أحداث في الشارع الجزائري فإن هذا الحوار له دلالته العميقة في نفسية الكاتب والقارئ على حد سواء.

تعود ميزة صورة المثقف الواعي من خلال صورة سميرة الصحفية الثائرة "أنا لم أعد قادرة على المزيد من الصمت لن تقودني رجلاي من اليوم إلى مرتفعاتهم الحقيقية دوما تسكن المنخفضات، سوف أندر نفسي وكميرتي لهؤلاء... إني أسمع ندائهم عاصفا مدويا هادرا في غضب إلى الشهادة".[2]

صورة الصحفي المثقف هنا يقف عاجزا في ظل ما يراه أمام عينه من موت يومي ودماء تسيل في كل مكان، وكأنها مياه تجري في الطرقات، جثث في كل الرصيف من الأشجار والأسلاك الكهربائية لم تمنع هي الأخرى من أشلاء الضحايا المنفجرة أشلائهم، هذا المشهد الذي أصبح حدث يومي في هذا المتن الروائي من خلال كلمات وألفاظ تفصح عن الإيديولوجيا لدى المثقف مثل "إن بيني وبين الأمان حياة بأسرها، إن أشعر بطعم المرارة في حلقي، كنت أصرخ داخلي كالملدوغة...".[3]

وهذه العلامات والعبارات لها دلالتها العميقة على نفسية الكاتب والشخصية والقارئ.

وفي الجانب الآخر لشخصية الصحفية "سميرة"، هناك شخصية أخرى ومن نوع تتماشى معها جنبا إلى جنب شخصية أخرى ومن نوع آخر ألا وهي الكاميرا أو كما تدعوها السوبر

1- شهرزاد زاعر، بيت من جماجم، ص 11.

2- المصدر نفسه، ص 14.

3- المصدر نفسه، ص4.

كونيكا الملازمة لها في عملها وتصويرها للحقيقة البشعة. فهي صديقتها الموثوقة، تقدم صورة حية وعلاقة قوية بين الجماد والحياة، كيف لا وهي تنقل الصورة بكل تفاصيلها وتنقل صورة الشارع غير مبالية في محاولة من المثقف الواعي هنا وهي الصحفية في جعل هذه الكاميرا الناطقة والمصورة لكل الأحداث الصغيرة والكبيرة "السوبر كونيكا الحمراء تشعرني بالدفئ... هي معي، إني أعتني بها بشكل رهيب أهملت معه وجهي، وجهي في المرآة وجدته صباحا شاحبا عيبا يقطر أرقا لم تستطع السوبر مونيكا إلا أن تكون رفيقتي الدائمة منذ خمس سنين، وأنا أتكئ على ثقلها في محفظتي الجلدية السوداء".[1]

تشخص الكاتبة صدق العلاقة بين الصحفية والكاميرا، فإذا كانت الكاميرا صدق ما يحث فإن الصحفية الثورية الرافضة لهذا الواقع الحزين والمضطرب تجعل كاميراتها مصوبة صوب الهدف الذي تنشده وتحاول إيصاله إلى الشعب حتى وإن كانت نهايتها هي الموت أو القتل لأن ما تحمله هذه الكاميرا وما تريد الصحفية نشره لا يخدم الاتجاهات المتضاربة والمتصارعة وإنما يضعها صوب التهديف.

"كانت السوبر كونيكا مرفوعة في الطليعة، متأهبة للاقتناص... لقد خسر للتو هذا العربيد الذي يسكن الضلوع، هذه الرغبة الطافحة المليئة بحب الاستطلاع، والاندفاع الذي يتطلب ثمنا غاليا: أعلم مسبقا ما أنا مقدمة عليه سيجدونني في يوم ما على صفحة التعازي اليومية".[2]

هذه الكاميرا أو السوبر كونيكا تقدمها لنا الروائية وكأنها صورة حية لها شعور وإحساس بكل ما يدور في هذه الأرجاء والأحياء التي تنبعث منها رائحة الموت والخوف، وكأنها تحمل على كاهلها إيصال وتوثيق ما يجري لكنها أصبحت عاجزة هي الأخرى على احتواء المشهد المرعب حالها حال صاحبتها تقول في هذا المشهد "السوبر كونيكا هي الأخرى عاجزة عن

1- شهرزاد زاعر، بيت من جماجم، ص ، ص 3.

2-المصدر نفسه، ص 14.

احتواء كل هذا البؤس... سأبدو سانحة لو أرغمتها على هذا"[1]، فهذه المشاهد لها بعد نفسي وإيديولوجي تبين لنا إيديولوجيا حاملة الكاميرا، وما تريد البوح به والنشر عنه لا تلك الكرنفالات والمهرجانات العميقة المصطنعة فهي تقول في حوارها مع صديقتها حميدة "لقد مللت الوجوه الكرنفالية لم تعد بي طاقة لتصوير المزيد من هذه الوجوه، أعينهم فارغة تضجرني".[2]

تمثل سميرة شخصية المثقف الواعي والملتزم بقضايا وطنه، وهنا يصبح الالتزام مرهونا بطبيعة علائقية تجمع بين الأدب كتجربة إنسانية فنية وبين الواقع الثقافي والاجتماعي الذي يحتضن هذه التجربة الإنسانية، إذ يمكن القول تأسيسا على ذلك: "أن موضوع الالتزام هو أساسا علائق الأدبي بالاجتماعي أي الوظيفة التي يوليها المجتمع للأدب ولدوره، وبالمعنى الدقيق فإن الكاتب الملتزم هو الذي اضطلع علانية بسلسلة من الالتزامات اتجاه الجماعة وارتبط بها من خلال وعده وغامر في هذه المباراة بمصداقيته وسمعته".[3]

تحمل الصحفية سميرة مسؤولية القضية والتعريف بها إنها قضية الوطن كل الشعب الجزائري فقد كان الكثير قبلها يحملون هم ما يجري في الشارع الجزائري من قتل وتخويف وترهيب وهو بالضبط رفيق حميدة الذي وجد مقتولا في أحد الأزقة، لماذا ؟ لأنه لم يرضخ للواقع بل حمل قلمه وكاميراته في سبيل هذه القضية غير آبه إن كان الموت هو الطريق الذي يؤدي إليه التزامه "كان في عينيه لهبة من التوق إلى الحقيقة قلم يكن يكف عن اللهاث ورائها غير عابئ بتحذيراتهم وتهديداتهم"[4]، فهي صورة أخرى لمثقف واعي وملتزم جعل من القضية قضية وطنية.

1- شهرزاد زاعر، بيت من جماجم، ص 16.

2- المصدر نفسه، ص 12.

3- بونوادوني، الأدب والالتزام من باسكال إلى ساتر، ترجمة محمد برادة – المجلس الأعلى للثقافة – ط 1- 2005 ص 35.

4- شهرزاد زاعر، بيت من جماجم، ص 23.

إن الالتزام في هذه الفترة الحرجة من تاريخ الجزائر المعاصر قد أصبح ضرورة فكرية من أجل تحرير العقول بما يدور حولها وفك العزلة عن العقول وما التزم سميرة الصحفية وصديقتها حميدة وهذا الأخير ما هو إلا انعكاس لالتزام الروائية في حد ذاتها بالقضايا الوطنية وخاصة هذه الفترة الحرجة من تاريخ الجزائر فالالتزام هو اعتناق القضية ومشاركتها وأن تكون له رسالة وغاية وأن تكون له علاقة تأثير وتأثر بينه وبين مجتمعه "فإن الكاتب الملتزم لا يعتقد أن العمل الأدبي لا يحيل إلا على نفسه وأنه يجد في هذا الاكتفاء الذاتي تبريره الأخير، على العكس، هو يفكر في العمل الأدبي مخترقا بمشروع ذي طبيعة أخلاقية، تحمل رؤية معينة للإنسان وللعالم ومن ثم فإن الكاتب الملتزم يفهم الأدب على أنه مشروع يعلن عن نفسه ويتحدد من خلال الغايات التي يتابعها في العالم".[1]

و لم تتوقف الكاتبة عند الصحفية سميرة بوصفها نموذجا للمثقف المتمرد والواعي بقيمة الحقيقة والكلمة التي تعبر عن الحقيقة، بل تعدتها إلى صديقتها الصحفية أيضا حميدة.

هذا الصوت الجديد الصادح هو مثال آخر للمرأة الواعية المثابرة في عملها وهي ضمير حي آخر للمثقف الواعي المتمرد الذي حمل قلمه في سبيل كشف الحقائق والخفايا "حميدة يجب أن تقاسميني هم المهنة، نحن لسنا مكرسين للكرنفال، الوقت لم يعد في صالحنا".[2]

فالزمن ليس زمن الكرنفالات والاحتفالات وتصوير المشاهد الجميلة وكأن الشعب يعيش أزهى أيامه، بل هو زمن الانكسارات والخذلان لقد وجدت سميرة في صديقتها حميدة الملاذ والحضن الدافئ.

إنها صورتها الجريئة لصوت الحقيقة في زمن مصادرة الآراء والأفكار، "فالمثقف يهدف أساسا لإبداع فكر، والتعبير عنه وتنميته ونشره، لكن هناك ارتباطات أخرى لتجاذبه كإرضاء

1- بونوادوني، الأدب والالتزام من باسكال إلى ساتر، ص 40.

2- شهرزاد زاعر، بيت من جماجم، ص 13.

جهة، أو تبعيته لإيديولوجيا معينة، أو وجود سلطة ما تهاجم ذلك المبدع بتحجيم آرائه وكبت كلمته، وممارسة القمع الرمزي على نصه".[1]

فقد كانت الصحفيتان منتفضتان على المقالات التافهة التي لا تخدم سوى الوجوه الكرنفالية التي لا تغني ولا تسمن من جوع.

وبالعودة إلى شخصية المثقف في الرواية عبر صورة حميدة فقد أبت إلا أن تبتعد مرة عن مسيرتها الصحفية، لأنها مقيدة بخط مسير الجريدة فهروبها وإن كان جسديا، فنفسها معلقة مع الأحداث الدامية والعصيبة وأي شخص واع بهذه الظروف تقاسمه الآلام لأنه ليس باليد حيلة.

لم تيأس سميرة في استعادة صوتها الجريء بل وصلت عند حد بابها لاسترجاع كنزها، فحميدة ليست ذلك الشخص الواعي فحسب في نظر سميرة، بل هي جزء من الوطن الضائع المغدور الذي يتلاشى بريقه فكم من حميدة قتلت وكممت أفواهها.

هذه حقيقة المثقف في عشرية الدم فهي تقول منتفضة "لقد اعتزلت العالم بعدما تقيأت... أن أعيش العزلة يخيل إلي أنه أحسن من شعوري بالغثيان الدائم... الصحافة، لقد أصبحت تثير قيئي هاته التي حلمت بالتربع على كرسيها منذ أن أصبحت أعي معنى أن نداعب القلم".[2]

لقد أصبحت مهنة الصحافة بالنسبة لحميدة مهنة مقززة لأنها في هذه الفترة الحرجة من تاريخ الجزائر، ترى الصحافي الصادق الذي يقول الحقيقة مهددا بالقتل أو السجن، هذا الطرف الثالث الشبح الوهمي الذي يسير البلاد.

"قوة الصحافة تكمن في قوة إقناعها للرأي العام وكونها الأداة الرئيسية في صنع اتجاهاتهم وبناء تصوراتهم اتجاه ما يحيط بهم من مواقف".[3]

1- حفناوي بعلي، الرواية الجزائرية الجديدة المنحى الملحمي والسرد الأسطوري، فصوص النص الصوفي – دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2019، ص 235.

2- شهرزاد زاعر، بيت من جماجم، ص 40.

3- بودهان اليمين – تحولات الإعلام المعاصر، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2019، ص 235.

تنتفض سميرة على قرارها الغبي ونعتها بالصديقة والمواطنة السلبية الهاربة إلى العزلة، فهي تريد مقاسمتها حق المواطنة والصداقة، لكن حميدة في الأخير ترى الأمل في عيون سميرة من خلال محاربة تلك الجبهات وكشفها، إذ عليها بحماية الجمجمة "جمجمة الأمير" أو بالأحرى الوطن الضائع الذي بدأ فجره بالبزوغ ولن يبزغ إلا إذا أناره رجال ونساء الوطن، ونزع جلباب الخوف والحذر في سبيل إشعال شموع الأمل.

3-2- إيديولوجيا المثقف الحيادي (السلبي):

يمثل رئيس التحرير بجريدة الرأي التي تعمل بها سميرة وصديقتها حميدة، الصوت المناقض لشخصية المثقف المتمرد والثوري، إذ يبدو من خلال السرد أن رئيس التحرير شخصية حيادية غير فاعلة في المجتمع والنص على حد سواء بحيث لا يريد الدخول في أي جدال سياسي له علاقة بالأوضاع السودوية، فكل ما كان يريده من الصحفيين هو تغطية الكرنفلات والاحتفالات الاجتماعية التي لا تهم المواطن ولا تضرب لا بالسلطة ولا بالمعارضة.

إن هذا الحياد السلبي هو صوت للمواطن الهارب من حقيقة الواقع وللمثقف غير الملتزم بقضايا وطنه.

فرئيس التحرير يمثل المثقف المحايد بحيث تنطبع السلبية في آرائه إذ لا يريد لسميرة إلا تغطية المناسبات، والزيارات التي يقوم بها المسؤولون والشخصيات الناقدة في المجتمع، وكأنه بصمته وبمتابعته لتلك الأحداث الهامشية والعابرة يعبر عن صوت السلطة، فيتحول إلى بوق من أبواقها، أما نقد الأوضاع وحقيقتها فهو يحاول مداراتها والابتعاد عنها "إن ما قالته سميرة خطير جدا، ويمكن أن يسبب لنا مشاكل معهم، أنا لست أدري لماذا تغيرت بهذا الشكل".[1]

1- شهرزاد زاغر، بيت من جماجم، ص 37.

إن التغير الجذري في شخصية سميرة آثار ريبة رئيس التحرير، وهو يرجو من كل هذا ألا تكون مقالاتها الجديدة "مقالات سياسية... أبعدوا الصحيفة عن السياسة والسياسيين، لا نريد أن تغلق الصحيفة".[1]

إن الوعي لدى المثقفين الجزائريين بالواقع خلال العشرية السوداء، لم يكن إلا وليدا للظروف السائدة التي فرضت قيودها وسلطتها، فإن كانت سميرة ورفيقتها تمثلان الوعي المتمرد والصوت الحر والضمير الحي، فرئيس التحرير يخشى على مكانته وصحيفته، وهو الحال لكل مثقف واعي مختبئ وراء مصالحه الخاصة ولا يريد أن تتضرر من أي طرف سواء من السلطة أو الجماعات الإسلامية.

3-3- المثقف المناهض:

مرة أخرى يظهر رئيس التحرير عبر رقعة المحكي ولكن هاته المرة بوصفه نموذجا للمثقف المناهض حيث يصمت عن قول الحقيقة، فصمته هذا لا يعد حيادا، بل هو انحياز واضح للسلطة ودعم غير مباشر لممارستها القمعية والتضليلية.

فبدل أن يؤدي دوره في كشف الواقع والدفاع عن القضايا العادلة، يختار التواطؤ بالصمت، مما يفقده مكانته كمثقف عضوي مرتبط بقضايا مجتمعه.

هذا الصمت لا يقتصر على السلبية، بل يمتد ليشكل مشاركة فعلية في دعم الاحتلالات الرمزية التي تمارسها السلطة من خلال الكرنفالات والاحتفالات الزائفة، التي تستعمل كوسائل للإلهاء الرأي العام وتزييف الوعي الجماعي.

وبهذا يصبح المثقف الصامت أداة بيد النظام، يعيد إنتاج الخطاب الرسمي، ويسهم في خيانة الوظيفة الحقيقية للثقافة التي تتمثل في فضح الزيف والسعي نحو التغيير، ويتجلى

1- شهرزاد زاغر، بيت من جماجم، ص 57.

هذه من خلال كلام رئيس التحرير مع سميرة "أو لم تذهبي لتغطية زيارة الوزير... جاءنا فاكس بضرورة تغطية احتفال، زاوية سيدي اعمر، لأنها ستكون تحت إشراف السيد الوزير".[1]

تقدم الرواية رئيس التحرير بصفته المسؤول الأول عن ما ينشر، إذ يلعب دورا محوريا في توجيه الرأي العام وصناعة الوعي الجمعي.

فمن خلال قراره بمنع نشر مشاهد العنف، والقتل، وإزهاق الأرواح، وما يرافقها من صور الألم والحزن التي يعيشها الشعب خلال ما يعرف ب "عشرية الدم"، يتخذ موقفا يظهر انحيازا واضحا لموقف معين، وليس بالضرورة التزاما بمبادئ المهنة الإعلامية أو الحياة وذلك من خلال قوله:" إن ما قالته سميرة خطير جدا، ويمكن أن يسبب لنا مشاكل معهم".[2]

هذا المنع يمكن تفسيره فقط على أنه موقف مناهض للحقيقة، متوطئا مع السلطة، حيث يسهم هذا الإخفاء الإعلامي في طمس معاناة الضحايا، وإسكات أصواتهم مما يجعل من رئيس التحرير أداة من أدوات تبييض الجرائم، بدلا من أن يكون شاهدا على الحقيقة أو مدافعا عن صوت الشعب.

ففي الوقت الذي ينتظر فيه المواطن من الإعلام أن يكون مرآة تعكس واقعه المؤلم، ووسيلة للضغط من أجل التغيير والمحاسبة، يتحول الإعلام تحت قيادة رئيس التحرير منحاز إلى سلطة وتزييف الواقع، وذلك عبر حجب وإخفاء المعاناة والمآسي والآلام التي كان من الواجب نقلها وتوثيقها بأمانة.

وهذا ما يكشف بوضوح عن موقعه كإنسان مناهض ومناصر للسلطة وذلك من خلال تستره على الحقيقة إعلاميا فكان خيار الصمت والتستر إسهاما ضمنيا في استمرار العنف والجريمة ضمن ما يعرف بالإرهاب

1- شهرزاد زاغر، بيت من جماجم، ص 18.

2- المصدر نفسه، ص 37.

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة توصلنا إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها كما يلي:

- هيمنت الإيديولوجيا على المسار السردي في رواية المحنة.
- رواية المحنة مرآة عاكسة للواقع الجزائري خلال العشرية السوداء.
- جسدت رواية المحنة الدور السلبي للسلطة كأحد العوامل الرئيسية في تعقيد الأزمة.
- شكل الدين أحد أهم المحاور ضمن الرواية.
- مثل المثقف شخصية محورية في رواية المحنة حيث لعب دورا أساسيا في فهم وتحليل ونقد الوضع الراهن للبلاد.
- تبرز رواية "بيت من جماجم" عدة توجهات إيديولوجية متعارضة ومتصارعة كانت السبب في أحداث العنف والإرهاب الذي عاشه المجتمع الجزائري.
- تبرز إيديولوجيا السلطة بوصفها الإيديولوجيا المهيمنة في النص والتي عبرت عن دور رجال الحكم في تفجير العنف، والتي ظهرت عبر إشارات لسانية ضمنية تمثلتها الكاتبة بين ثنايا النص دون التصريح المباشر حول أطراف السلطة.
- مثلت إيديولوجيا المعارضة إحدى أهم العوامل التي ساهمت في تفاقم الأزمة بشكل مباشر.
- ظهرت ايديولوجيا المثقف كإيديولوجيا معارضة لكل من السلطة والتيار الديني .
- انقسمت إيديولوجيا المثقف إلى عدة توجهات فكان منها المثقف المتمرد الثوري والمحايد السلبي وكذلك المناهض.
- مثلت سميرة وحميدة صوت المثقف المتمرد الباحث عن الحقيقة والرافض لسياسة السلطة والتيار الديني على حد سواء.
- مثل رئيس التحرير صوت المثقف السلبي والمحايد والمناهض في نفس الوقت حيث اختار عدم التصريح بآرائه السياسية أو الخوض في مغامرة السلطة والسياسة، واكتفى بتوجيه صحيفته لخدمة قضايا موازية تتعلق بالاحتفالات والمهرجانات.

- إن خيار الصمت والحياد الذي مثله رئيس التحرير جعله يبدو بمثابة المثقف المناهض للسلطة وأحد أبواقها انطلاقا من إعراضه عن صوت الحقيقة.

الملحق

السيرة الذاتية للكاتبة:

شهرزاد زاغر أستاذة جامعية من مدينة بسكرة، تدرس بكلية الآداب واللغات بجامعة محمد حيدر، من الأصوات النسائية التي فرضت نفسها في الساحة الأدبية، لديها العديد من الأعمال في المجالين الإبداعي والأكاديمي، نذكر منها:

- التداخل السردي في المتن الحكائي:

دراسة مقارنة بين ألف ليلة وليلة ورواية في البحث عن الزمن الضائع، الطبعة الأولى 2010 م.

- المصطلح النقدي:

إشكالات ونماذج تأليف مشترك، الطبعة الأولى 2015 م.

- أثر ألف ليلة وليلة في الأدب الفرنسي دراسة مقارنة.

- بيت من جماجم:

رواية منشورة سنة 2000 م.

- زمن الوردة:

مجموعة قصصية منشورة سنة 2005 م.

- في البدء كان فراغا:

مسرحية موجهة للفتيان.

- كوكب العذاب:

رواية منشورة سنة 2017 م.

ملخص رواية بيت من جماجم:

تعالج رواية "بيت من جماجم" الواقع السياسي والاجتماعي المأساوي في فترة العشرية الدموية، إذ تحكي جانب من حياة فتاة ألقت بها مهنة المتاعب "الصحافة" إلى العاصمة، في محاولة منها لنقل الحقيقة ونشر الوعي في زمن التكتم والصمت ومحاربة حرية التعبير.

الشخصية المتمثلة في البطلة سميرة تقاسمها في رحلتها آلة التصوير "السوبركونيكا" التي تعتبر جزءا من شخصيتها كما تقاسمها البطولة صديقتها الصحفية حميدة، اللتان تتقاسمان غرفة النوم في إحدى الإقامات الجامعية.

تناولت الرواية في أجزائها تسعة بداية تدرج الوعي لدى سميرة أين بدأت الرواية مع يوميات سميرة وسوبركونيكا في جمع المشاهد من أجل الصحيفة التي تنصدم مع الواقع الأليم، أما الجزء الثاني فهو يرصد حياتها مع صديقتها في الغرفة وتدعيات الوضع الاجتماعي والسياسي على نفسيتهما، ليأتي الجزء الثالث والأكثر أهمية وهو تعثر سميرة بالجمجمة أين أصبحت هذه الأخيرة محور تركيز سميرة وهذا ما جسده الجزء الرابع في رصد العلاقة الوطيدة بينهما لنتفاجئ بالجزء الخامس بالضجيج والهالة الإعلامية الكبيرة عن الجمجمة، الجمجمة نفسها التي سكنت قلب وعقل البطلة التي ساهمت في تشكيل وعيها، أما الجزءين الآخرين سادس وسابع فقد عكسا اكتمال الوعي عند سميرة، أين ثرت على النظام السائد مع عودة صديقتها حميدة والوقوف معها في رحلتها لحماية الجمجمة، أما الجزء الثامن فقد أظهر الصحفيتين بمظهر المنتصر في حين صور لنا هذا الجزء تماطل رئيس التحرير والسلطة في كشف الحقيقة، أما الجزء التاسع فنطوي به آخر فصول الرواية التي كانت نهاية مأساوية للصحفيتين أين تعرضتا للخطف والقتل وهذا كان نتيجة حتمية كموقفهما الرافض للسلطة.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية ورش.**

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1) زاغر شهرزاد، بيت من جماجم، دار النشر منشورات التبيين الحافظية سلسلة الإبداع الأدبي، د.ط، الجزائر، 2000 م.

المراجع:

2) الأحرش نفيسة ، كتاب امرأة عايشت الأزمة، منشورات جمعية المرأة، الجزائر.

3) إدريس سامية ، تمثيل الصراع الرمزي في الرواية الجزائرية دراسة في علم اجتماع النص الأدبي، منشورات ضفاف – منشورات الاختلاف، بيروت لبنان، ط 1.

4) إدريس سماح ، المثقف العربي والسلطة، بحث في روايات التجربة الناصرية.

5) أنور محمد ، الإسلام والمسيحية في مواجهة الإرهاب والتطرف، الحوار لا المواجهة، دار آية.

6) بحيطنة عبد الحق، مفهوم العنف الاجتماعي في البحوث السوسيولوجية بين الطرح العلمي والطرح الإيديولوجي قراءة ابتسيولوجية، المجلة العلمية لجامعة الجزائر 3، المجلد 6، العدد 14، جانفي 2018.

7) بعلي حفناوي ، الرواية الجزائرية الجديدة المنحى الملحمي والسرد الأسطوري، فصوص النص الصوفي – دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2019.

8) بعلي حفناوي ، الرواية الجزائرية الجديدة، المنفى الملحمي والسردي الأسطوري، نصوص النص الصوفي، اليازوري، ص 7، كتاب رقمي، 20 سبتمبر 2020.

9) بعلي حفناوي ، تحولات الخطاب الروائي الجزائري، آفاق التجديد ومتاهات التجريب، دار اليازوزي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د.ط، 2015 م.

10) بعلي حفناوي ، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم ناسترون، الجزائر، د ط، د ت.

11) بغلول بوزيان ، الرواية الجزائرية الجديدة متى ؟ لماذا ؟ كيف ؟ قراءة من منظور النقد الثقافي، ط 1، ص 84، ديسمبر 2020.

12) بن بلقاسم فريد ، الإسلاموية تحديدا إيديولوجيا وخطرا تنظيميا، 22 ديسمبر 2021، 51 ، 15.

13) بن مبارك علي ، العنف الديني، الدلالات والخلفيات، 7 مارس 2016.

14) بهاوي محمد ، الفلسفة لتلاميذ البكالوريا، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 2، 2012.

15) بودهان اليمين– تحولات الإعلام المعاصر، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2019.

16) بوراضي لزهر ، جدلية الدين والسياسة وثنائية التداخل والتصادم، المجلة العلمية لجامعة الجزائر 3، العدد 09، ديسمبر 2017.

17) حاتم رشيد، الأزمة الجزائرية إلى أين، دار سندباد للنشر –عمان– الأردن، 1999.

18) حبيلة الشريف ، الرواية والعنف، دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط 1، 2010.

19) حسين توفيق إبراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، بيروت، 1999.

20) حلمي نبيل أحمد، الإرهاب الدولي وفقا لقواعد القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، ب ت.

21) حميداني حميد ، النقد الروائي والإيديولوجية، المركز الثقافي العربي – بيروت، ط1، 1995.

22) الحيدري إبراهيم ، سوسيولوجي العنف والإرهاب، دار الساقي، بيروت، 2015.

23) الرميحي محمد ، واقع الثقافة ومستقبلها... في الثقافة والمثقف في الوطن العربي، الوثائق الرئيسية لإعلان مكسيكو بشأن الثقافة، مكسيكو، 26 تموز 1982م، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، 1992 م.

24) الزنيدي عبد الرحمان بن زيد ، المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية.

25) الزواهرة عمر عبد الله المبارك ، العنف داخل مراكز الإصلاح والتأهيل، ط 1، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2013.

26) ساكر حسيبة ، علاقة الإيديولوجية بالأدب، جامعة الشيخ العربي التبسي – الجزائر، ع 3، 2017.

27) سيد قطب، هذا الدين، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 14، 4121 هـ.

28) شحته رشدي أبو زيد، العنف ضد المرأة وكيفية مواجهته، ط 1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2008.

29) عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجية، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط7، 2003..

30) العروسي الزبير ، دور مؤسسات المدني في التصدي للإرهاب العنف من منظور علم النفس السياسي، مركز دراسات البحوث، قسم اللقاءات العلمية.

31) العنزي سعاد عبد الله ، صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة دار الفراشة للطباعة والنشر، الكويت، ط1، 2010م.

32) غيث محمد عطاف ، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية للكتاب

33) فادي علان علي جمعة، دور المثقف في ثورات الربيع العربي وعلاقته بالسلطة السياسية، مذكرة الماجستير في التخطيط والتنمية السياسية، جامعة النجاح الوطنية نابلس – فلسطين، 2015.

34) لحيلح عبد الله عيسى ، كراف الخطايا، ط 1، 2002 م.

35) مجموعة من المؤلفين، الأنتلجينسيا العربية، د د ر، د س، د ط.

36) المرعول محمد عبد الله ، الأزمات مفهومها وأسبابها وآثارها ودورها في تعميق الوطنية، مكتبة القانون والاقتصاد، الرياض، 2014 م.

37) مزادي شارف، أدب المحنة في الرواية الجزائرية المعاصرة، الأدبي الإيديولوجي فر رواية التسعينات، أعمال الملتقى الخامس للنقد الأدبي في الجزائر، المركز الجامعي بسعيدة، 2008.

38) مسعود أحمد وآخرون، الأدبي والإيديولوجي في رواية التسعينات، روايات الطاهر وطار، وسيني الأعرج، أنموذجا.

39) مصطفى عبد الغني، قضايا الرواية العربية، الدار المرية اللبنانية، القاهرة، ط 1، 1991 م.

40) معن خليل العمر، علم اجتماع المثقفين، دار الشروق للنشر والتوزيع، دط، عمان، 2009.

41) ملاح كيسة ميساء ، إيديولوجية رواية المحنة الجزائرية بين 1992، 2002، جامعة بومرداس، د.ت.

42) منيعي حسان ، قراءة في الرواية، دار سندي للطباعة والنشر، المغرب، ط 2، 1996.

43) مولاي عبد الصمد صابر، تحرير الإسلام من الإيديولوجيا، 5 أبريل 2023، 04، 16.

44) هويدا صالح، صورة المثقف في الرواية الجديدة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013، ط 1.

45) يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 10، 1418 هـ.

المراجع الأجنبية المترجمة:

1) بونوادوني، الأدب والالتزام من باسكال إلى ساتر، ترجمة محمد برادة – المجلس الأعلى للثقافة – ط 1– 2005.

المعاجم:

1) الرازي محمد بن أبي بكر ، مختار الصحاح، دار الكتاب، الحديث، الكويت، ط1، 1994 م.

2) الكامل الكبير، قاموس اللغة الفرنسية الكلاسيكية والحديثة المعاصرة، فرنسي–عربي، مكتبة لبنان، (دط)، (دت).

3) المنجد الأبجدي، المؤسسة الوطنية لكتاب، الجزائر دار الشرق، بيروت، ط 5.

آمنة بلعلي المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، ط 2، 2011 م.

الرسائل الجامعية:

1) شلاط سلمى ، سلمى بوعمامة، العنف الإيديولوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة، مورسو تحقيق مضاد لكمال داود أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي كلية الآداب واللغات، جامعة محمد الصديق بن يحي – جيجل، 2020/2019.

2) العنزي سعاد عبد الله ، صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة –دراسة نقدية، أطروحة مقدمة لكلية الدراسات العليا الاستفاء جزء من متطلبات درجة الماجستير الكوكب، أبريل 2008.

3) قرور لطيفة ، هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر وطار الشمعة والدهاليز، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009.

4) يعيش حرم، خزار وسيبة، تدريس علم الاجتماع بين العلوم والإيديولوجية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، 2001.

المجلات:

1) العنف ضد المرأة، تقرير صادر عن مجلة بشرى الإلكترونية، عدد 77، لسنة 2003.

المواقع والمجلات الإلكترونية:

1) الجباعي جاد الكريم ، قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة، مقال، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، https://www.mominoun.com/articles/3222-الإيديولوجيا-والعنف-والمؤسسات،22 أكتوبر 2015، 2025/04/28، 13:00.

2) حكيم سعاد ، نمسته أنواع من المثقفين، ملحق الخليج الثقافي، جريدة الخليج 2013/01/14 www.alkhaleejae.

الموسوعات:

1) موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالند، تعريب خليل أحمد خليل، أشرف عليه أحمد عويدات، مج 1، بيروت، لبنان، ط 2، 2001.

فهرس الموضوعات

مقدمة ..... أ-ج
مدخل: نشأة رواية الأزمة الجزائرية 5
الفصل الأول : قراءة في المصطلح و المفهوم و التيمات 10
1- مفهوم الأزمة: 10
1-1- لغة 10
1-2- اصطلاحا 10
2- مفهوم رواية الأزمة الجزائرية 11
3- الفرق بين رواية الأزمة والرواية الاستعجالية 12
4- تجليات المتن في رواية الأزمة 13
4-1- الإيديولوجيا 13
4-1-1- مفهوم الإيديولوجيا 13
4-1-2- علاقة الإيديولوجيا براوية الأزمة 15
4-2- الدين 17
4-3- العنف 20
4-3-1- عنف الإرهاب 23
4-3-2-عنف السلطة 25
4-3-3- العنف الاجتماعي 26
4-4- المثقف 28
5- تجليات الإديولوجيا في رواية الأزمة 30
5-1- إيديولوجيا السلطة 30
5-2- إيديولوجيا المعارضة (التيار الديني) 32
5-3- إيديولوجيا المثقف 33

5-3-1- المثقف المتمرد (الثوري) 34
5-3-2- المثقف السلبي (الحيادي) 35
5-3-3- المثقف المناهض 35
الفصل الثاني: تجليات البعد الإيديولوجي وعلاقته بالنسق السردي في رواية "بيت من جماجم 38
1- إيديولوجيا السلطة 38
2- إيديولوجيا المعارضة (التيار الديني) 44
3- إيديولوجيا المثقف 47
3-1- المثقف المتمرد 47
3-2- المثقف الحيادي (السلبي) 53
3-3- المثقف المناهض 54
الخاتمة 58
الملحق 61
قائمة المصادر والمراجع 63
فهرس الموضوعات 71
الملخص 73

الملخص

الملخص

حضيت الرواية الجزائرية خلال مرحلة التسعينيات بأهمية خاصة، جعلتها تمثل في شموليتها إحدى حلقات التطور الهامة في مسيرة الرواية الجزائرية، حيث انطلقت من سؤال الواقع بأبعاده وتجلياته الراهنة وتقاطعها مع التاريخ مكتسبة سمات نوعية مستمدة من مناخ سياسي هيمنت عليها الإيديولوجيا ، فكانت رواية إيديولوجية بامتياز.

تجلى هذا الطابع في رواية المحنة التي عكست الواقع الجزائري خلال هيمنة الإيديولوجيا على المسار السردي، وتجسيد الدور السلبي للسلطة كعامل رئيسي في تعقيد الأزمة، إلى جانب اعتبار الدين أحد أهم المحاور ضمن الرواية.

كما برز المثقف كشخصية محورية تتوزع إيديولوجيته بين التمرد والحياد والمناهضة، حيث مثلت سميرة وحميدة صوت المثقف المتمرد الرافض للسلطة والتيار الديني، في حين جسد رئيس التحرير نموذج المثقف المحايد والصامت الذي اختار عدم المواجهة مما جعله يبدو كأحد أبواق السلطة بانسحابه عن قول الحقيقة.

وقد أظهرت الرواية الصراع بين إيديولوجيا السلطة المهيمنة وإيديولوجيا المعارضة التي ساهمت بدورها في تفاقم الأزمة، و بذلك ظهرت رواية "بيت من جماجم" كفضاء تتصارع داخله عدة توجهات، مما جعل الرواية مرآة عاكسة لتعقيدات الواقع الجزائري في تلك المرحلة.

Summary

The Algerian novel during the 1990s received special attention, making its comprehensiveness one of the important stages in the development of Algerian narrative. It emerged from questioning reality in its dimensions and current manifestations, and its intersections with history, acquiring distinctive features derived from a political climate dominated by ideological control. As such, the novel became ideological par excellence.

This characteristic is evident in the novel Al-Miḥna (The Ordeal), which reflected the Algerian reality during the period of ideological dominance over the narrative course, portraying the negative role of authority as a major factor in complicating the crisis, in addition to treating religion as one of the central themes in the novel.

The intellectual also emerged as a central figure, with his ideology divided between rebellion, neutrality, and opposition. Samira and Hamida represented the voice of the rebellious intellectual rejecting both authority and the religious current, while the editor-in-chief embodied the neutral, silent intellectual who chose not to confront, which made him appear as a mouthpiece for authority through his withdrawal from telling the truth.

The novel revealed the conflict between the dominant ideology of power and the opposing ideology, which also contributed to worsening the crisis. Meanwhile, the novel House of Skulls served as a space where these orientations clashed, making it a mirror reflecting the complexities of Algerian reality during that period.